368

HARLEQUIN

روايات أحلام

رياح الماضي

بيني جوردان

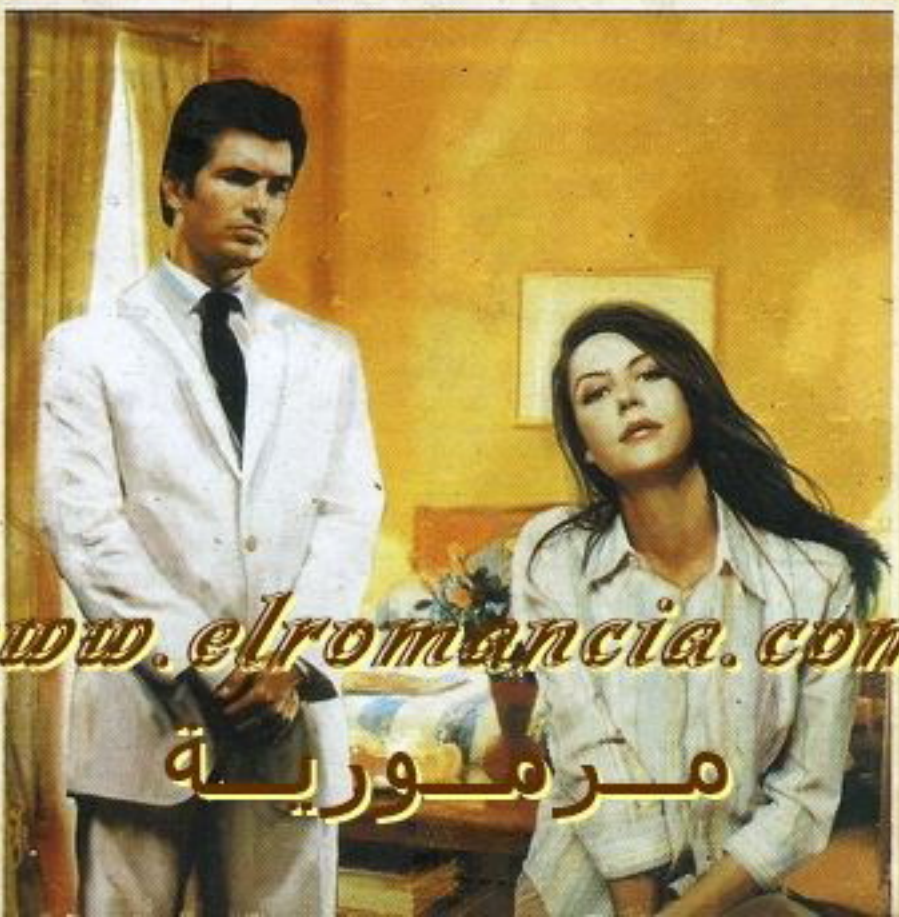

www.elromancia.com

مرمورية

رياح الماضي

تستعد كيت لاستقبال مديرها الجديد ... لكن صدمة كبيرة في انتظارها : فالمدير الساحر ليس غريبا . لا بل هو مقرب جدا منها ... إنه زوجها السابق !
كان سين هورد رجل الأعمال الثري قد نسي زوجته . ولكن نظرة واحدة كانت كفيلة بإشعال النار تحت الرماد ... ما زالت كيت تجذبه بقوة . وهمسة واحدة منه جعلتها هي بدورها تدرك أن قلبها ما زال ينبض بشدة كلما نظرت في عينيه . وما هي إلا أيام قليلة حتى واجهت كيت قرارا صعبا : فهل ترضى بالعودة إلى الوراء أم تقبل بأن تكون عشيقة زوجها ؟

لبنان	2500ل. ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 9953-16-322-1

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من *Harlequin Enterprises II B.V*

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة *Harlequin Enterprises II B.V.*

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة *Harlequin Enterprises II B.V.*

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Mistress to her Husband
First published in Great Britain 2004
Harlequin Mills & Boon Limited
© Penny Jordan 2004
Translation © Dar El-Farasha - 2006
ISBN 9953 - 15 - 322 - 1

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين **Harlequin** العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة **Harlequin** هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

بيني جوردان

تكتب بيني جوردان الروايات منذ أكثر من عشرين سنة وقد ألّفت أكثر من ١٥٠ رواية، كتبت عن معظمها تعليقات من مجلات وصحف عديدة منها Sunday Times، New york Times، وحققت أرقام مبيعات عالية جداً. ولدت بيني جوردان في برستون وهي تعيش اليوم في منطقة تشيشير الريفية.

١ ـ مفاجأة كبرى

- كيت لن تخمّني أبداً ما حصل! أخبرنا جون هذا الصباح، حين كنت عند طبيب الأسنان، أنه باع الشركة، والرئيس الجديد سيأتي غداً ليقابل الموظفين.

استوعبت كيت فنسنت كلمات زميلتها المتحمسّة، بصمت، وأسبلت أهدابها الكثيفة الداكنة على عينيها الكهرمانيتين وهي تفكر في ما سمعت. لم يمض عليها في هذه الشركة سوى ستة أشهر، فقبل ذلك، لم تكن قادرة على العمل بدوام كامل لتتمكن من إكمال الماجستير. وعندما نالت الشهادة، شعرت بثقة كافية لتقديم طلب لوظيفتها الحالية.

- ومن هو المدير الجديد؟

طرحت على زميلتها لورا هذا السؤال وهي ترفع شعرها الطويل الكستنائي عن كتفيها فقد كان الجوّ حاراً في الخارج.

فأجابت لورا وهي تنظر بحسد إلى جسم كيت الرشيق في التنورة البنية والبلوزة البيضاء: «لم يشأ جون أن يخبرنا».

كانت لورا معها حين اشترت هذه التنورة في التنزيلات فوجدتها معتمة، لكنها بدت جميلة وأنيقة حين ارتدتها كيت.

ونظرت إلى كيت بأسف مضيفة: «يبدو أن كل شيء سيبقى سراً حتى الغد».

- كان علينا أن ندرك أن هذا سيحدث قريباً. فقد بقي جون يلمّح إلى

رغبته في التقاعد. . . لكن لم يخطر لي أبداً أنه يريد أن يبيع. لكن، بما أنه ليس لديهما، هو وزوجته شيلا، أولاد، فلا فائدة من أن يستمرا في العمل وألا ينتقلا للعيش في بيتهما الجميل في «ميامي».

كانت المرأتان تتبادلان الحديث بينما كيت تعمل على جهاز الكمبيوتر. كانت الشركة التي أنشأها جون لومز للتجارة بمواد البناء ومعداته، ناجحة جداً. لكن كيت لاحظت، منذ ابتدأت تعمل في هذه الشركة الصغيرة الخاصة، أن اهتمام صاحبها باكتساب عقود جديدة لشركته يتراجع تدريجياً. وهذا أمر مؤسف للغاية لأنها تعلم أن في هذه الشركة طاقات كامنة كثيرة. وهكذا، لم تدهش تماماً عندما علمت أن جون باع الشركة.

وأسرَّت إليها لورا: «الكل قلق مما قد يحدث. فما من أحد منا يريد أن يخسر عمله».

قالت كيت بهدوء: «لعل المالك الجديد للشركة ليس شخصاً سيئاً. ثمة امكانيات كثيرة لتوسيع الأعمال، وبالتالي سيكون هناك ما يكفي لأن يعمل كل منّا، شرط ألا يكون للرئيس الجديد عمل مماثل فيرغب في أن يدمج الشركتين معاً».

ارتجفت لورا وقالت بقلق: «لا تقولي هذا! لقد أخذنا لتوّنا قرضاً لكي نتمكن من توسيع البيت. إننا نحاول أن ننشىء أسرة، ووجود طفل يعني أننا بحاجة إلى مساحة إضافية. آخر ما أحتاجه الآن هو أن أخسر وظيفتي! ما يذكرني. . . قال جون إنه يريدنا جميعاً هنا خصوصاً صباح الغد. يبدو أن المالك الجديد سيحضر إلى هنا في الثامنة».

حوّلت كيت انتباهها عن البريد الالكتروني لتقول للورا وهي مقطّبة بقلق: «أتعنين أنّ جون يريدنا هنا في الثامنة؟».

كان مستحيلاً عليها أن تصل إلى المكتب في الثامنة صباحاً، فصف

التمهيدي لا يبدأ قبل الثامنة، وعليها أن تترك أوللي في السابعة والنصف على الأقل إذا أرادت أن تصل في الثامنة. وانقبضت معدتها من التوتر.

من الصعب جداً على أيّ أم أن تعمل بدوام كامل. . . فهذا يتطلب تنظيماً دقيقاً ومستمراً. والمشكلة الحقيقية هي أنّ هذه الأم تعيل طفلها بمفردها، وتجاهد لتمنح طفلها إحساساً بالأمان بمقدار ما يمنحه الأبوان المحبّان معاً. كما أنها لم تخبر رئيسها بأن لديها طفلاً، ما يزعزع ذلك التنظيم إلى حد الخطر.

لاحظت لورا توترها: «ما الأمر؟».

- لا شيء.

لم تكن كيت قد أخبرت أحداً من زملائها عن أوللي. فمجرد التفكير في طفلها يثير فيها غريزة الأم التي تدفعها إلى حماية فلذة كبدها. كانت حسّاسة أكثر مما ينبغي في ما يتعلق بموقف الزملاء والموظفين من المصاعب التي تصادف الأم العاملة. . . خاصة إذا كانت الأم وحيدة من دون زوج. . . كما أن كيت لم تأت على ذكر طفلها عندما قابلت جون، صاحب العمل. ولم تعلم إلا لاحقاً أن نظرة جون إلى استخدام أم طفل صغير رجعية للغاية. وذلك بعد أن أدركت كم تناسبها هذه الوظيفة، وكم هي مناسبة للوظيفة. وقد سبّب لها إخفاء أمر ابنها أرقاً فهي صادقة للغاية بطبيعتها، وقد وخزَها ضميرها كثيراً، لكنها حدّثت نفسها بأن هذا الإغفال لوجود ابنها ضروري إذا أرادت أن تحافظ على وظيفتها.

أصبحت الآن مؤهلة تماماً، مصممة على أن تؤمن لابنها الأمان المادي الذي كان ليستمتع به لو أن والده لم يتركها.

والده! وشعرت بغثيان ويأس امتزجا بالغضب في أعماقها. كان هذا مزيجاً ساماً خطراً، لكنها هي المهددة بالتسمم، وليس الرجل الذي حطّم قلبها وهجرها.

وهي الآن تعتبر أنها وابنها أوللي، أو أوليفر وهو اسمه الكامل، أفضل حالاً من دونه... رغم أنَّ ما تكسبه يكاد لا يغطي كلفة القرض الذي تسدده ثمناً للكوخ الصغير الذي اشترته في قرية جميلة تبعد أميال عن المدينة وكلفة مدرسة أوللي ونفقات الطعام وغيرها من الضروريات.

توترت شفتاها بقسوة وهما الناعمتان المقوّستان عادة. إنها أولى الناس بالعناية بطفلها، لكن حالتها المادية لا تسمح لها بذلك.

وظيفتها الحالية هي أول درجة في سلّم النجاح المهني الذي عليها أن تصعده لكي تتمكن من العيش مع ابنها بشكل لائق. رئيس القسم الذي تعمل فيه سيتقاعد بعد سنتين، وكانت ترجو سراً أن تحلّ محله إذا ما قامت بعملها على أكمل وجه. لم يعد عيد ميلادها الخامس والعشرين بعيداً، ولا عيد ميلاد أوليفر الخامس. عيد ميلاده الخامس وذكرى السنة الخامسة من سنوات وحدتها، ذكرى العيش من دون... وطردت كيت بسرعة أفكارها المدمِّرة هذه. إنها لا تحتاجها ولا تريدها، ولن تدعها تُفسد عليها سكينتها النفسية التي اكتسبتها بجهد بالغ.

عليها أن تُركِّز على مستقبلها فقط، وليس على ماضيها، وتسليم الشركة إلى شخص غير جون قد يدمِّر أي فرصة لديها للترقية. لكنها قد تمنحها أيضاً فرصة أكبر، كما خطر لها وهي تجري مقارنات بين جداول وضعتها لتحدد الزبائن الذين يمكن للشركة أن تتصل بهم لتظفر بطلبات وعقود.

عندما وقفت كيت في مدخل «الحضانة» المفتوح في القرية الصغيرة، ورأت ابنها يركض إليها، وقد تألق وجهه لرؤيتها، شعرت بقلبها يفيض حباً. وعندما انحنت تحمله بين ذراعيها، ودفنت وجهها في عنقه الدافىء لكي تشتم رائحته، أدركت أن التضحيات التي ستقدّمها أو صعوبة العمل الذي تقوم به، غير مهمة في سبيل أوللي.

قطّبت جبينها وهي تتأمل غرفة الصف الخالية الآن من التلامذة. لقد اختارت العيش في هذه القرية الصغيرة لأنها أرادت أن تغرس في عقل أوللي حسّ الانتماء، لكي يعيش طفولة لم تعرفها هي نفسها. لكن العيش هنا يعني أنَّ عليها أن تذهب إلى المدينة للعمل يومياً، ويعني أيضاً أنَّ على أوللي أن ينتظرها طويلاً بعد مغادرة الأطفال الآخرين.

لم تكن تنوي قط أن ينشأ ابنها بهذا الشكل... ولداً وحيداً من دون أسرة سواها. أرادت أن تكون الأمور بالنسبة إلى طفلها مختلفة عمَّا كانت عليه بالنسبة إليها.

أبوان محبَّان، أخوة، إحساس بأنه محبوب مرغوب فيه...

وتملّكها الألم. خمس سنوات مضت... هل المرأة التي تسمح لنفسها بألا تنفك عن التفكير في رجل خانها ونبذها، امرأة تحترم نفسها؟ رجل تعهَّد بحبها إلى الأبد، وبمشاركتها أحلامها وأهدافها... علَّمها أن تحبه وتثق به، همس لها عند زواجهما، أنه سيمنحها ابنه، وأنه سيحيط ذلك الطفل بالمحبة والأمان.

رجل كذب عليها وتركها محطَّمة القلب، ما حررها من الأوهام وجعلها وحيدة كلّياً.

لكي تتزوجه عارضت عمتها وزوجها اللذين ربّياها فتبرأ منها.

وهذا لا يعني أن كيت كانت لترغب في أن يشاركا في تربية ابنها. لعلهما منحاها بيتاً عندما كانت يتيمة، لكنهما قاما بذلك بدافع الواجب وليس المحبة. وكانت هي متلهفة جداً إلى المحبة.

- بدأ أوللي يقلق!

هذا العتاب من المعلمة جعل كيت تجفل.

- أعرف أنني تأخرت قليلاً ولكن كان هناك حادث اصطدام ما أعاق السير.

كانت معلمة الحضانة امرأة سمينة تجاوزت منتصف العمر، ولديها أحفاد. كان التلاميذ يحبونها ويحترمونها، وغالباً ما كان أوللي يعارض أمه بإلحاح: «ولكن ماري تقول...».

وبعد عشر دقائق، كانت كيت تفتح باب بيتها، الواقع وسط القرية والتي تطل نوافذه الأمامية على المروج الخضراء وعلى بركة يسبح فيها البط، فيما يوجد حديقة صغيرة خلف المنزل.

كان أوللي صبياً قوياً، يتميّز بعضلات قوية وشعر كث أسود جعد. كان قد ورث كل هذا عن أبيه، ومن دون علمه.

بالنسبة إلى كيت، لم يعد والد ابنها موجوداً، وقد رفضت أن تترك له مكاناً في حياتهما. وكان أوللي قد اقتنع حتى الآن، وبطبيعته المسالمة، أن ما من أب له. لكن، وبما أن صديقه المفضّل لديه أب، فقد أراد أوللي معرفة المزيد.

قطّبت كيت جبينها. بقي أوللي راضياً بأجوبتها حتى الآن، لكن قلبها أخذ يتألم وهي تراه ينظر بلهفة إلى توم لاوسن وهو يلاعب ابنه.

* * *

نزل سين من سيارته المرسيدس ووقف جامداً، بقامته الطويلة، ينظر إلى المبنى أمامه.

بدا بالغ الأناقة ببذلته الرسمية، فالسترة تُغطي كتفيه العريضتين بشكل ساحر يبرز عضلاته التي تكوّنت طوال السنوات التي عمل فيها في مهنة البناء.

سال عرقه في العمل في أكثر من شارع عام، في مناطق سكنية عدة. لكن، في تلك الأيام، حين كان مراهقاً عديم الثقافة، تعهّد لنفسه بأن الأمور ستختلف، يوماً ما، وأنه سيصبح يوماً من يُعطي الأوامر بدلاً من أن يتلقاها.

عندما كان صبياً صغيراً، اضطر لأن يكافح ليؤمن قوته بعد أن تخلّت عنه أمه الهيبية.

وعندما بلغ العشرين من عمره، كان يعمل في البناء، بناء كل ما يؤمن له أجراً، فيما تابع تعليمه لينال شهادة البكالوريوس في التجارة وإدارة الأعمال. وقد احتفل بعيد ميلاده الواحد والثلاثين ببيعه الشركة التي بناها من لا شيء بعشرين مليوناً. لو شاء حينذاك لتقاعد مكتفياً بهذا المبلغ، لكن هذا ليس أسلوبه. كان يرى الطاقات الكامنة في شركات مثل شركة جون فتشبث بالفرص السانحة بكلتيّ يديه. وها هو الآن في الخامسة والثلاثين.

لديه خطط كبرى لتوسيع أعماله، ولكن تنفيذ خطته يتطلب قوى عاملة بارعة. قوى عاملة تمتاز بالإخلاص والنشاط والحماسة والطموح. سيجتمع هذا الصباح بموظفيه الجدد وسيقيّمهم كما قيّم أولئك الذين عملوا لحسابه منذ دخل ميدان الأعمال. سيواجههم شخصياً ليقرأ لاحقاً ملفاتهم الشخصية.

كان رجلاً تَسْلُب وسامته القلب. لكن شمس الصباح محت الخطوط الخشنة التي تمتد من أنفه إلى فمه، وأبرزت رجلاً قويّ العزيمة نادر الابتسام ذا جاذبية مهلكة اختلطت بالسخرية عندما توقفت امرأة شابة عن السير لتلقي عليه نظرة إعجاب.

في السنوات التي أمضاها في جمع ملايينه، أخذت بعض النساء الرائعات الجمال يلاحقنه، لكنه كان يعلم أنهن لو عرفنه في مطلع صباه لتولّين عنه باحتقار واشمئزاز.

شيء ما، هو مزيج من المرارة والألم، محا الدفء من زرقة عينيه.

لقد ابتعد كثيراً عما كان عليه يوماً ما... ومع ذلك لم يبتعد بما يكفي.

أقفل سيارته ثم سار إلى المبنى بخطوات واسعة.

شعرت كيت بالعرق ينضح من جبينها وهي تنتظر أن تتغير إشارة السير، وكانت معدتها متشنجة إلى حد الألم.

أسكتت كبرياءها المعتادة الليلة الماضية وسألت كارول، وهي والدة أفضل صديق لأوللي، إذا ما كانت تستطيع أن تترك أوللي عندها في الساعة السابعة والنصف لكي تأخذه إلى المدرسة مع ابنها جورج. واشتد الألم في معدتها. كانت تكره أن تعامل إبنها الغالي وكأنه... صرّة ثياب للغسيل!

ما الذي جعل صاحب الشركة الجديد يصرّ على أن يحضروا إلى العمل باكراً؟. هل هو عدم تفكير أم عدم اهتمام منه؟ مهما كان السبب، فهو لا يبشر بالخير بالنسبة إلى مستقبلها مع الشركة.

عندما وصلت إلى الإشارة الضوئية، رأت السيارة المتضررة التي كانت سبب التأخير. كانت الساعة تشير إلى الثامنة وعشر دقائق، وما زال أمامها عشر دقائق على الأقل لكي تصل إلى العمل.

إنها الثامنة والنصف! صرفت كيت بأسنانها وهي تسرع نحو المبنى. راحت تسير بسرعة، ثم أخذت تركض بقلق لتجتاز الياردات القليلة الباقية، لكن الأمل في أن تتمكن من الدخول بحذر وصمت إلى مكتب جون أثناء انعقاد الإجتماع تلاشى عندما انفتح الباب وخرج زملاؤها إلى الممر. همست لها لورا: «لقد تأخرت. ماذا حدث؟».

كان صعباً عليها أن تتكلم وكل هؤلاء من حولها في الممر، فشرعت تقول: «سأخبرك في ما بعد...».

ثم جمدت مكانها عندما خرج رجلان من المكتب.

كان أحدهما جون... أما الآخر... الآخر...

كان الآخر زوجها السابق!.

- ربما تودّين أن تخبريني... الآن؟.

إنها تتذكر بوضوح هذا الصوت العذب، بما يتضمنه من برودة. رأت الناس يحدّقون إليها، فجاهدت للتخلص من هذه الصدمة. وبدا جون متكدراً غير مرتاح: «سين، أظن... ربما... أنا واثق من أن...».

تجاهله سين بغطرسة وهو يقول لها: «الآن!».

وأمسك بالباب ليمكّنها من الدخول إلى مكتب جون.

اشتبكت أعينهما لحظة. كان صداماً وعراكاً بين اللونين الكهرماني والأزرق الداكن.

مديرهم الجديد هو زوجها السابق!.

أي ضربة وضيعة يسدّدها لها القدر؟.

عندما هجرها سين من أجل امرأة أخرى، صلّت لئلا تراه أبداً أبداً. لقد منحته كل ما كان عليها أن تمنحه. وتمردت على عمتها وزوجها لتتزوجه. ثم ساعدته وشجعته، وأحبته... لكن هذا لم يكن كافياً بالنسبة إليه. لم تعد تكفيه. النجاح الذي ساعدته على تحقيقه أصبح يعني أنه لم يعد يراها جديرة به.

كانت تحبس أنفاسها، فشعرت بحاجة ماسة إلى التنفس، لكنها خافت أن ترتجف إذا ما فعلت، ولا سبيل لأن تظهر لسين ضعفها.

إنها تتذكر هاتين العينين المتحديتين، الزرقاوين. لقد نظر إليها بهذا الشكل حين تعارفا أول مرة... تحداها أن تتجاهله. والآن، لم يعد هناك من يجرؤ على أن يتجاهله.

حاول جون أن يدافع عنها: «كيت هي أكثر...».

فقاطعه سين: «شكراً يا جون، سأحلّ المسألة بنفسي».

قال هذا باختصار فيما منع جون من دخول مكتبه، مغلقاً الباب خلفه

وخلف كيت.

سألها عابساً: «كيت؟ ماذا حدث لكاتي؟».

مجرد سماعه ذلك الاسم، أعاد إليها ذكريات مؤلمة. كان اسمها كاتي عندما أشار ساخراً، في بداية تعارفهما، إلى أنها أكثر أناقة وترفعاً من أن ترقص مع أمثاله. وكانت كاتي عندما أخذها بين ذراعيه وأراها... وطردت من ذهنها بعنف هذه الذكريات المعذبة.

ضحكت من دون بهجة وقالت: «كاتي؟ لم يعد لها وجود يا سين. لقد دمّرتها حين دمرت زواجنا».

- شهرتك هي؟

وتساءل سين عمّا إذا كان بإمكانها أن تسمع أو تفهم سبب الغضب الذي جعل صوته يتوتر.

- كيت فنسنت.

فسألها بعنف: «فنسنت؟».

- نعم. فنسنت. أتراك ظننت أنني سأرغب في الاحتفاظ باسمك؟ كما لم أشأ أن أحمل اسم عمتي وزوجها لأنهما، مثلك، لم يريداني.

- إذن، فقد تزوجت مرة أخرى فقط لتغيري اسمك؟.

أعماها الغضب حين سمعت سخريته.

- لماذا تأخرت هذا الصباح؟ ألم يشأ أن يتركك تخرجين من سريره؟.

فتوهج وجهها غضباً: «هل لأنك...».

سكتت وهي تشعر بغصة حين بدأت الذكريات تعود إلى ذهنها... سين يوقظها في الصباح بأرق القبلات... وذلك حتى تستيقظ تماماً... ثم...

شعرت بالتوتر يتملكها. توتر تسببت به الذكريات عن الحقيقة التي حاولت جاهدة أن تتعلق بها، لتستعملها درعاً.

درعاً؟ مما؟ الحب الذي شعرت به يوماً نحو سين تدمّر نهائياً، دمّره سين نفسه، متعمداً وبقسوة. وتصلّب جسدها كبرياءً. سرّها أن يظنها وجدت رجلاً آخر وأنها تزوجت سواه.

هل تزوج هو المرأة التي تركها من أجلها؟.

رن هاتف سين الخلوي فقطّب جبينه قبل أن يخبر كيت أن بإمكانها أن تذهب.

وعندما استدارت لتغادر، سمعت صوتاً أنثوياً يقول بوضوح: «سين، حبيبي...».

* * *

كانت كيت تخلي مكتبها عندما دخلت لورا: «ماذا تفعلين؟».

فأجابت كيت بتوتر: «ماذا ترينني أفعل؟ أخلي مكتبي».

- هل ستتركين العمل؟ أتعنين أنه طردك لمجرد أنك تأخرت؟

رأت كيت مدى ذهول وهلع لورا فابتسمت بمرارة: «لا، لم يطردني. لكن فلنقل إنني راحلة قبل أن يطردني».

- لا، يا كيت. أرى أن الأمور شرعت تسوء معك...

وسكتت فجأة وعضّت شفتها بعدم ارتياح لاحظته كيت، ففكرت بجفاء في أن لورا لا يمكن أن تكون سياسية ناجحة. قالت بحزن: «لورا؟».

- حسناً، أنا واثقة من أنه لم يكن يعني شيئاً... فقد سمعت سين يسأل جون عنك. أنا واثقة من تفهمّه، يا كيت. فهو يبدو طيّباً ورائعاً.

سين؟ طيب! وكبحت كيت ضحكة مرة.

ربما يتمتع سين بكثير من الصفات، لكن الطيبة ليست إحداها... حتى في بداية تعارفهما. إنه رجل خشن تعلم الحكمة والاحتيال في الشارع ويمكنه أن يبعث الوهن في ركبتيّ أي فتاة والحرارة في جسدها بمجرد نظرة تعنيف واحدة. هكذا كان. بينما هي...

احمرّ وجهها عندما أدركت المنحى الذي اتخذته أفكارها. فتحت الكمبيوتر وأخذت تطبع، فقالت لورا بارتياح: «الحمد لله أنك غيرت رأيك».

لكن كيت هزّت رأسها: «لا، لم أغير رأيي، لكنني أطبع استقالتي».

- استقالتك؟.

بدا الذعر على لورا وأخذت تقنعها بالعدول عن رأيها، لكن كيت رفضت.

أنهت طبع الإستقالة ورسالتها، ثم وضعتهما في مغلف أنيق وضعته في البريد الداخلي.

وعندما انتهت توجهت إلى الباب، فسألتها لورا بقلق: «إلى أين أنت ذاهبة؟».

- تركت العمل بعد أن كتبت استقالتي. لم أعد أعمل هنا!.

- ولكن، يا كيت، لا يمكنك ترك العمل بهذا الشكل... من دون أن تخبري أحداً!.

فأجابت باختصار: «سترين إن كان بإمكاني ذلك».

وسارت نحو الباب.

في داخلها، كانت بعيدة عن الهدوء. لكنها كبحت بحزم أفكارها الغادرة.

* * *

إذن، كاتي تعمل هنا! وأخذ سين يذرع أرض مكتبه جيئة وذهاباً، بعد أن أنهى المخابرة مع زوجة مستشاره المالي التي اتصلت به لتدعوه إلى حفل عشاء تقيمه. لم يكن سين يُحب حفلات العشاء. ولوى فمه بمرارة. قبل أن يعرف كاتي لم يكن يعرف كيف يستعمل أدوات المائدة، فعلمته بكل لطف وحنان. وبحنان، محت نواحي شخصيته الخشنة. أما هو...

سار بغضب إلى النافذة ونظر منها. لقد تعمّد ألاّ يتقصى أثر كاتي بعد الطلاق، إذ لا فائدة من ذلك، فقد انتهى الزواج وقدم لها مبلغاً كبيراً من المال لكنها أعادته إليه عبر محاميه. من تراها تزوجت ومتى تزوجته؟.

وسار إلى المكتب وتناول الملف الشخصي الذي لم يكن قد قرأه بعد.

٢ - عودي وإلاّ!

عندما خرجت كيت من سيارتها، اعترفت بأنه ما كان عليها أن تقودها. كانت ترتجف من رأسها حتى قدميها. ولم تعرف كيف وصلت إلى بيتها. الرحلة بأكملها كانت عبارة عن مشاهد مغطاة بدموع أثارتها الذكريات المؤلمة التي أصابت كيانها بموجات متلاحقة من الذعر والغضب.

- كيت!.

حاولت كيت أن تبدو مرتاحة باسمة عندما أسرعت إليها كارول، صديقتها وجارتها، وهي تسألها مداعبة: «لماذا عدت باكراً؟ هل كان الرئيس الجديد راضياً عنك فمنحك بقية النهار إجازة؟».

حاولت كيت أن تجد جواباً مناسباً، لكن الذعر تملّكها وشعرت بشفتيها ترتجفان والمشاعر تهزمها: «لقد قدمت استقالتي. كنت ... كنت مضطرة لذلك، فالرئيس... رئيسي الجديد هو زوجي السابق!».

واغرورقت عيناها بالدموع وأخذت ترتجف وكأنها أصيبت بصدمة. لكنها سمعت كارول تقول بحنان: «هيا بنا إلى الداخل، لتخبريني بكل ما حدث».

وبعد عشر دقائق، وبعد أن حضّرت القهوة وثرثرت عن ولديهما، قالت لها بلطف: «لا أريد أن أتطفل عليك، يا كيت، ولكن إذا أخرجت مكنونات صدرك، فسأصغي إليك من كل قلبي، وأعدك بالكتمان».

وعندما لم تجب كيت، وبقيت متقوقعة على ذاتها في كرسيها تشرب قهوتها، أضافت كارول بهدوء: «حتى ولا لتوم، إذا كان هذا ما تريدين؟».

التفتت كيت إليها بنظرات شاردة، لكنها ما لبثت أن أرغمت نفسها على التركيز. فتنفسّت بعمق ثم بدأت تتكلم ببطء وألم: «عرفت سين عندما كنت في الثامنة عشرة، وكان يبني غرفة إضافية لجيران عمتي. حينذاك، كان الصيف حاراً للغاية فراح يعمل عاري الصدر وهو يرتدي بنطلون جينز ضيقاً...».

-هممم ... يبدو هذا مثيراً.

وابتسمت لها كارول مشجعة وقد أراحها أن ترى شبه ابتسامة على فم كيت.

- اعتدت أن أسير حول المكان مسافة طويلة، فقط لكي أراه. لم يخطر لي أنه لاحظ ذلك. ولكن، ذات ليلة، رأيته في النادي المحلّي، فتقدم مني يسألني أن أرقص معه. والمواجهة معه شخصياً وجهاً لوجه، شيء آخر! شعرت برهبة منه. كنت عذراء ساذجة في الثامنة عشرة، وقد وجدت مواجهة تلك الجاذبية مخيفة نوعاً ما. ولسوء الحظ ظنني أرفضه، و... لم أكن أعرف حينذاك أنه عاش مثلي طفولة موحشة تعيسة تركته حساساً ونزقاً سريع الشجار، ومصمماً على النجاح أيضاً. يمكنني أن أفهم الآن أنني كنت، بالنسبة إليه، نوعاً من التحدّي لأنني من بيئة مختلفة عن بيئته... حيبة تمثل غنيمة له. وهكذا، وجدني جيدة بما يكفي لكي يتزوجني. لكن عندما نجح في أعماله، أدرك أنني لم أكن تلك الغنيمة العظيمة. على أيّ حال، أدرك أنه، بأمواله، يمكن أن يجد من هي أحسن مني بكثير.

سألتها كارول برقة، وهي تسمع نبرة الألم في صوتها: «يبدو أنك

أحبيته».

نظرت كيت إليها وهي ترتجف: «أحبيته؟ نعم، أحببته.... كثيراً، وبقلب أعمى وأحمق كما أدركت لاحقاً. اعتقدت، حينذاك، أنه يبادلني الشعور نفسه!».

- آه، يا كيت.

وأمسكت كارول بيديها الباردتين متعاطفة معها وقد فاضت عيناها بالمشاعر، بينما تابعت كيت: «غضبت عمتي وزوجها للغاية عندما أخبرتهما أنني أخرج مع سين. خاصة عمتي. وحصل بيننا شجار فظيع، عرفت خلاله أنها لم تحب أمي قط، وأنها ذعرت عندما تزوجت أخاها. أخبرتني أنني إذا لم أمتنع عن رؤية سين، فسيتبرآن مني، هي وزوجها. لكنني لم أستطع أن أترك سين، فقد كنت أحبه كثيراً. كان قد أصبح عالمي كله! وعندما أخبرته بما حصل مع عمتي وزوجها، قال إنه لن يدعني أعود إليهما، لأتحمل منهما الأذى وأعيش في الخوف، وأنه من الآن فصاعداً سيتحمّل مسؤوليتي، وهكذا تزوجنا بعد ستة أسابيع، وكان سين قد أنهى بناء الغرفة وأصبح جاهزاً للانتقال إلى عمله التالي.

رأت كارول أن أحداث هذا النهار بدأت تؤثر في كيت، ونظرة واحدة إلى وجه صديقتها المرهق، بخديه الغائرين، جعلتها تقف قائلة بحزم: «إسمعي، أنت مرهقة. فلماذا لا ترتاحين؟ وإذا شئت يمكنني أن أحضر أوللي من الحضانة وأقدم له الشاي».

تملّك كيت إغراء أن ترفض. وعندما تلهّف جزء منها لأن تأخذ ابنها بين ذراعيها تحتضنه وتتعزى بعناقه قال الجزء الآخر إن هذا ليس صواباً بحق ابنها، وأنَّ عليها ألاّ تفرغ مشاعرها عليه. على أي حال، لديها أعمال عليها القيام بها، أولها العثور على عمل! فقالت لها شاحبة الوجه: «أنت بالغة اللطف».

- كلام فارغ فأنا أعلم أنك كنت ستفعلين الشيء نفسه لي.

وكان هذا صحيحاً طبعاً، ولكن كارول لن تطلب منها شيئاً كهذا، كما أخذت كيت تفكر بعجز فكارول تعيش مع زوج محب. كما أنَّ لجورج ابنها جدّين يسرّهما أن يمكثا طويلاً مع حفيدهما.

ولكن ابنها ليس لديه سواها، هي فقط. ما من جدين. ولكن ماذا عن سين؟ إنه والد أوليفر، كما تذكرت كيت غاضبة.

سين!.

وشعرت بجسمها مثقلاً بالتعاسة واليأس. لقد جاهدت طويلاً، وبدا من غير المنصف أن تُحرم من الأمان المادي العزيز عليها لأن زوجها السابق اشترى الشركة.

ولأول مرة منذ أعلن سين أن زواجهما انتهى، شعرت كيت بالغضب من نفسها لأنها لم تقبل المبلغ السخيَّ التي قدّمها لها. لقد أعادت إليه مليوني جنيه. أعادت هذا المبلغ لأنها لم تكن تعلم بعد أنها تحمل أوليفر في أحشائها. وعندما علمت... حسناً، كانت قد أقسمت على ألاّ تطلب شيئاً من الرجل الذي أخبرها، وبكل دم بارد، أنه لا يرغب في أن يصبح أباً، وأنه لا يرغب في أن يرتبط بزوجة لم يعد يحبها.

ما زالت تشعر بحدة الألم الذي أحست به حينذاك. وتصلّب جسمها. ما كان لهذا أن يدوم... كان ينبغي أن يُمحى... تماماً كما محا سين زواجهما.

كل ما قاله لها وصدقته، كقوله إنه متشوّق إلى انجاب الأولاد... وكل وعوده تلك... وعود بأن يتمتع أولادهما بحب الأبوين الذي حُرما منه هما، كل ذلك كان كذباً.

وعلى الرغم منها، شعرت بنفسها تعود إلى الماضي وإلى ذكرياته المؤلمة.

لم يعطها أيّ إنذار مسبق، ولم تلاحظ كم كانت سعادتها هشّة. في الواقع، وفي الشهر الذي سبق الطلاق، أخذها سين في إجازة شاعرية للغاية إلى فندق قروي ترتاده الطبقة الغنية... لكي يعوّض، كما قال لها بحب، عن الوقت الذي أمضاه في المفاوضات للحصول على عقد عمل هام للغاية ما منعهما من أن يمضيا إجازة الصيف معاً.

وصلا إلى الفندق عند العصر واستمتعا بنزهة شاعرية على الأقدام ثم عادا إلى غرفتهما.

تلك الليلة، تأخرا عن موعد العشاء... تأخرا جداً. فقد ناولها سين مغلفاً كبيراً أسمر وطلب منها أن تفتحه. وعندما فعلت، وجدت في داخله تفاصيل عن بيت جميل من العهد الجورجي كانا، هي وسين، قد مرّا به في بداية السنة.

- لقد قلت إنه المكان الذي كنت دوماً تحلمين بالعيش فيه. إنه معروض للبيع.

وأمضت بقية السهرة ورأسها يدور من الإثارة فيما هي تخطط لتأثيث المنزل، مصرّة على أن يصغي إليها سين وهي تتحدث عن البيت غرفة غرفة.

وفي الصباح، استلقت بين ذراعيه مغمضة عينيها، تتنشق رائحته وهي تتساءل عمّا فعلته في حياتها لتستحق هذه السعادة كلها.

وبعد أقل من شهر، كانت تتساءل عما فعلته في حياتها لتستحق هذا الألم كله.

بعد أن حدّثها عن مفاوضاته لشراء البيت وإذا به يخبرها أنه لم يعد يحبها وأنه ينوي أن يطلقها.

أغمضت عينيها ومالت إلى الخلف في كرسيها. شعرت بإرهاق جسدي وعاطفي. ما الذي عليها أن تفعله الآن؟ يجب أن تقلق بشأن

العثور على وظيفة أخرى، بدلاً من أن تستغرق في رثاء نفسها.

عليها أن تسجّل اسمها في إحدى وكالات التوظيف، ثم تقبل بكل ما تعثر عليه من عمل حتى تستقر في وظيفة دائمة. وكانت قد وفّرت بعض المال للأيام السوداء، لكنها لن تدوم طويلاً.

لماذا؟ لماذا عاد سين إلى حياتها بهذا الشكل؟ ألم يؤلمها بما فيه الكفاية؟.

وتعبت من مكافحة الإرهاق، فاستسلمت لسلطان النوم.

كان حلماً قد رأته من قبل. حاولت أن تستيقظ لتتخلص منه، لكن الوقت فات. فقد اكتسحها الحلم وأغرقها فضاعت فيه.

رأت أنها مع سين في غرفة الجلوس في بيتهما. وكان قد جاء من العمل باكراً. ركضت لكي ترحب به لكنه دفعها عنه وقد علا وجهه تعبير ليس لذلك الزوج الذي تعرفه، بل للرجل الغاضب المتجهم الذي تعرفت إليه أول مرة.

سألته وهي تمدّ إليه يدها: «سين؟ ماذا حدث؟».

وأجفلت عندما تجاهل إشارة المحبة تلك، وسار إلى النافذة حاجباً ضوء النهار. أخذت تنظر إليه من دون أن تفهم، فيما خيوط الخوف الأولى تلتف حول قلبها.

- أريد الطلاق.

- الطلاق! لا ... ماذا...؟ ماذا تقول يا سين؟

راحت تطرح أسئلتها هذه ومزيج من الذعر والصدمة وعدم التصديق يمسك بخناقها ما جعل صوتها يخرج مبحوحاً مصدوماً ليتردد صداه في أنحاء الغرفة.

- قلت إن زواجنا انتهى وأريد أن نتطلق.

- لا، لا... أنت لا تعني ذلك. لا يمكن أنك تعني ذلك. فأنت تحبني.

فقال ببرودة: «ظننت أنني أحبك. لكنني أدركت أنني لا أحبك. ما نريده أنا وأنت من الحياة مختلف، يا كاتي. أنت تريدين أولاداً. أصبحت أشعر بالغثيان حين اضطر للاستماع إليك وأنت تضجرينني بذكر ذلك. أنا لا أريد أولاداً!».

- هذا ليس صحيحاً. كيف يمكنك أن تقول هذا يا سين؟

وحدّقت إليه غير مصدقة، لا تستطيع أن تفهم ما يقول. ثم قالت تذكّره وهي ترتجف: «كنا قد قلنا إننا نريد أسرة كبيرة لأن طفولتنا...».

- إكبري، بحق الله، يا كاتي. عندما قلت ذلك كنت مستعداً لأن أقول أي شيء لكي أصل إليك.

لذع الازدراء الذي حملته كلماته مشاعرها الحسّاسة.

- إسمعي. لا أنوي مجادلتك في هذا الأمر فقد انتهى زواجنا. تحدثت إلى المحامي وستكونين على ما يرام مادياً...

- هل من امرأة أخرى؟.

نظرا إلى بعضهما البعض بصمت فيما راحت تدعو الله أن يجيبها بالنفي. لكنه، وبدلاً من ذلك، قال يعنفها ساخراً: «ما هو رأيك؟».

كان جسدها يرتجف، فأخذت تبكي رغماً عنها، وتشهق باسم سين بعدم تصديق مذعور متوسل...

* * *

ما الذي يجعله يفعل هذا؟ وتشبثت يدا سين بعجلة القيادة. ما هي الغاية من المجازفة بإحياء الماضي؟ كان استبدالها بموظفة أخرى سهلاً، لكن سين أدرك أن هذا ليس إنصافاً. فهي وبحسب جون، ومما استطاع

أن يلاحظه بنفسه، ذكية للغاية وموظفة مجتهدة... نوع الموظف الذي يريده بالضبط. كما أنه لن يسمح لها بترك عملها قبل انقضاء فترة الانذار القانونية المطلوبة بعد تقديم الاستقالة.

إنها زوجته السابقة، كما ذكّر نفسه عابساً! ولكن لا علاقة لهذا بحقيقة أنها زوجته السابقة، كما أنّ لا علاقة له أيضاً بحقيقة أنه اكتشف من ملفّها، أنها غير متزوجة، وذلك على عكس ما افترض.

إنه في القرية الآن. وتوتر فمه قليلاً. نعم، هذا هو نوع البيئة الذي تحب... بيئة صغيرة، مريحة، ذات جوّ عائلي وكل ما لم يكن موجوداً في حياتها مع عمتها المخيفة وزوجها.

قاد سيارته إلى موقف سيارات رآه، حيث أوقفها ثم خرج منها.

لم يكن قد أخبر أحداً بعد بأنها قدمت استقالتها. رسمياً، لا تزال كيت تعمل لحساب الشركة... لحسابه.

دار حول بركة البط، والكآبة في عينيه، ليتوجه إلى باب بيت كيت الأمامي. وكان على وشك أن يطرقه عندما نادته امرأة كهلة كانت تراقبه من أمام بابها: «عليك أن تتوجه إلى الخلف أيها الشاب».

الشاب! وعبس، لا يظن أنه كان شاباً يوماً. لم يُسمح له قط بأن يكون شاباً! تعبير قاتم خطر ارتسم على وجهه وقسى ملامحه وهو يطيع إرشادات المرأة.

عثوره على الممر المؤدي إلى الباب الخلفي استغرق دقائق عدة. لم تشأ بوابة بيت كيت أن تنفتح في البداية، ثم أدرك أنها مقفلة بالمزلاج من الداخل فمدّ يده من خلال الحديد وفتحها. وفكر مقطّباً، في فائدة هذا التدبير ضدّ اللصوص.

ازداد تقطيبه حين رأى الباب الخلفي مفتوحاً قليلاً. لو عاشت كيت كما عاش هو لكانت أكثر وعياً بالنسبة لإجراءات الأمان.

كانت يده على مقبض الباب حين سمعها تبكي وتناديه.

تصرّف على الفور، فدفع الباب واندفع إلى داخل المطبخ ليقف فجأة عندما رآها نائمة على الكرسي. شعر وكأن أنفاسه قد انقطعت وهو يحاول أن يأخذ نفساً مرتجفاً.

كان يعشق النظر إليها وهي نائمة، فيتأملها بنهم ولذّة خفية، من أهدابها الطويلة القاتمة المسبلة على بشرتها الرقيقة، إلى شفتيها المنفرجتين قليلاً ووجهها المائل إلى الجانب ما يظهر أذنها الجميلة كاملة. وضعها وهي نائمة يجعلها تبدو ضعيفة للغاية، ويُظهر مدى ثقتها به، ومدى حاجتها إلى حمايته...

ومن دون تفكير، تقدم سين إلى الأمام، ومد يده ليرفع شعرها الكث عن وجهها. وأدرك فجأة أن هذا هو الحاضر وليس الماضي فتوقف، لكن بعد فوات الأوان. صرخت بإسمه باضطراب بالغ وكأنها أحسّت بوجوده. فتردد لحظة ثم أخذ نفساً عميقاً ووضع يده على كتفها وربّت عليها قليلاً فاستيقظت على الفور.

وعندما فتحت عينيها سألها بجفاء: «أنا سين. ما بك؟».

حدّقت كيت إليه فيما حلمها لا يزال يغشّي ذهنها. وبعد ثوانٍ عدة، استعادت وعيها التام رغم النعاس الذي أثقل أجفانها.

قال برقة: «كنت تناديني باسمي».

شعرت بالخدر يسري في كيانها، وإذا بحقيقة ما كانت تحلم به تتجلّى في ذهنها. احمّر وجهها. وفجأة، ساد توتر خطر في الغرفة، وقالت بحدة: «كنت أحلم، هذا كل ما في الأمر».

- هل تحلمين بي غالباً؟.

كان الخطر يتعاظم لحظة بعد أخرى. وكانت تشعر بجلدها يتوتر في ردّ فعل على سخريته، فأجابت بسرعة: «كان هذا كابوساً».

قال بلهجة اتهام، مغيراً الموضوع فجأة: «لم تتزوجي مرة أخرى».

نهضت متثاقلة، وعندما رأت كم تبدو قصيرة القامة بجانبه، لعنت نفسها لأنها لا تنتعل حذاء عالي الكعبين، وشعرت بالمرارة القديمة تزداد في داخلها. قالت بحرارة:

- أتزوج مرة أخرى؟ هل ظننت حقاً أنني سأجازف بالزواج مرة أخرى بعد ما فعلته بي؟ لا، لم ولن أتزوج مرة أخرى.

ثمة سبب آخر وجيه جداً لعدم زواجها، لكنها لا تنوي أن تطلعه عليه. إنه ابنها. وابنها الغالي لن تمنحه أباً بالتبني قد لا يحبه. إنها تعرف تماماً معنى ذلك.

لن تعرّضه للتعاسة نفسها التي ذاقتها في صغرها.

- لماذا غيّرت شهرتك؟

ما زالت لديه المهارة نفسها في طرح أسئلة خطرة تنسل كسكين بين ضلوعها. أوشكت أن ترتجف، فكتّفت ذراعيها على صدرها، لئلا يلاحظ ما يعكسه جسدها من قلق.

قالت بغضب: «ولماذا لا أغيرها؟ لا أريد حمل اسمك، كما أنني لا أريد اسم عمتي وزوجها. وهكذا غيّرت شهرتي وحملت شهرة أمي. ما الذي جاء بك إلى هنا على أيّ حال؟ لا يحق لك...».

قاطعها وهو يخرج من جيبه رسالتها واستقالتها، ومغلفاً أبيض سميكاً: «هذا هو عقدك مع الشركة ويرد فيه أنّ عليك أن تعملي أثناء فترة الانذار القانونية بعد الاستقالة وهي أربعة أسابيع. لا يمكنك أن تتركي العمل في لحظة، يا كيت».

جفّ فمها، وأدركت أن عينيها فضحتا ما تشعر به من صدمة وخيبة أمل. وشرعت تقول: «لا... لا يمكنك أن تتمسك بي بهذا الشرط».

. بل يمكنني ذلك، وأنا أنوي أن أفعل ذلك.

هتفت بعنف: «ولكن لماذا؟».

ثم جمدت وهي ترى أنها بدأت تفقد رباطة جأشها: «افترضت أنك تريدني أن أرحل بالرغبة نفسها التي أريد بها ذلك، نظراً للسرعة التي أنهيت بها زواجنا! لا يمكن أن ترغب في أن أعمل معك. أنا زوجتك السابقة، المرأة التي رفضتها، المرأة التي ....».

- القوانين هي القوانين. أنا أريدك أن تعودي لكي تسلمّي أعمالك لخليفتك، كما أنك مرغمة على تنفيذ فترة الانذار التي تسبق الإستقالة.

- لا يمكنك إرغامي على ذلك!.

ربما بدا صوتها قوياً حازماً، لكن الذعر انتابها. إنها مرغمة فعلاً على العمل مدة الانذار القانونية، وإذا لم تفعل فقد يفكر المستخدمون الآخرون مرتين قبل أن يوافقوا على عملها معهم. وما دام أوليفر معها، لا يمكنها أن تبقى من دون عمل.

أجابها: «بل يمكنني ذلك. لعلك هجرت بيتنا الزوجي، لكن لا سبيل لأن تتركي وظيفتك!».

ازداد ذهولها مع كل كلمة قالها: «هجرت البيت لأنك كنت على علاقة بامرأة أخرى... وأنت تعرف ذلك. أنت الذي أنهيت زواجنا، يا سين».

- لا يهمني الحديث عن الماضي، بل عن الحاضر فقط.

تركها مترددة ضعيفة. كانت غلطة منها أن تشير إلى زواجهما، وأن تذكر علاقته الغرامية. آخر ما تريده هو أن يعنّفها فيما هي لا تزال تتألم.

- أريد قيمة نقودي يا كيت ولا شك أنك تتذكرين ذلك.

كانت متلهّفة إلى فرصة كهذه لترد بعنف:

- أنا لا أسمح لنفسي بأن أتذكر أي شيء عنك.

خرجت هذه الكلمات من فمها قبل أن تستطيع منعها وشعرت بازدياد التوتر بينهما، رافقه ذكريات خطرة لنوع آخر مختلف من التوتر.

وكأنه قرأ أفكارها، إذ قال متحدياً: «أي شيء؟ ولا حتى هذه؟».

شعورها بيديه تمسكان بذراعيها وتجذبانها إليه، وبحرارة جسده، كان مذهلاً ومألوفاً على الفور ومرغوباً فيه إلى حد لم تستطع معه أن تتحرك.

وبشكل ما، وبحركة تلقائية لا إرادية، بادلته عناقه وأحاطت ذراعيها به... ومال رأسها إلى الخلف واتسعت عيناها فتمكنّت من النظر إلى زرقة عينيه الملتهبتين الفياضتين بالمشاعر المحمومة.

ذهلت وهي تشعر وكأن جزءاً منها كان ينتظر هذا، ينتظره... لا ينتظره وحسب بل يريده ويرغب فيه ويتشّوق إليه.

كان تنفسه خشناً ثقيلاً فيما تنفسها سطحياً غير منتظم.

لمسته حملت دعوة استجاب لها جسدها على الفور، ما جعلها تغمض عينيها كيلا يرى مشاعرها فيهما.

وتدفّقت ذكريات ليالي زواجهما السعيدة، حين كانت تستمتع بلمساته وهمساته وقلبه...

وسرت في كيانها رجفة الشوق.

- ماما...

صوت أوليفر من أمام الباب الخلفي، أعادها إلى أرض الواقع، فابتعدت عن سين الذي تركها بسرعة أيضاً. وعندما انفتح الباب ودخل أوليفر تتبعه كارول، كانا يقفان على مسافة من بعضهما البعض، متجاهلين بعضهما البعض.

- أراد أوللي أن يعود إلى البيت، وهكذا...

وسكتت كارول وهي ترى سين وثم نظرت إلى كيت مترددة.

- شكراً يا كارول.

وانحنت تفتح ذراعيها لابنها الذي ارتمى في أحضانها، وقد سرّها أن تجد عذراً لإخفاء وجهها وعدم النظر إلى سين وكارول، التي قالت وهي تتجه إلى الباب: «سأرحل إذن».

حدّق سين إلى الطفل بين ذراعي كيت بذهول وعدم تصديق. لديها طفلاً... وهو طفلها، لديها طفل وهذا يعني... يعني أن رجلاً آخر...

كان أوليفر يتململ بين ذراعيها يريد أن ينزل إلى الأرض، فأنزلته كارهة. وما إن لمست قدماه الأرض حتى التفت إلى سين. وشعرت كيت بقبضة تعتصر قلبها عندما سأله: «من أنت؟».

قالت له كيت من دون أن تنظر إلى سين: «هذا وقت النوم يا أوللي. وأريدك أن تخرج».

وجّهت الجملة الأخيرة إلى سين الذي أجاب عابساً: «أنا مصمم على ما قلته لك عن العمل، يا كاتي».

- لا تنادني باسم كاتي!.

أدركت كيت، بعد فوات الأوان، أن ابنها أوليفر لمس الغضب في صوتها، فأدار وجهه إليها ووضع يده في يدها وحدّق إلى سين. لكن استياءها لتكديره لا يقاس بالغضب الذي شعرت به عندما قال لها سين: «لقد كدّرت الطفل!».

ذُهلت وقبل أن تعبّر عن غضبها، انحنى سين وحمل أوليفر بين ذراعيه.

انتظرت أن يقاومه ابنها، كما يفعل عادة عندما يلمسه شخص لا يعرفه، لكنها ذُهلت وهي تراه يميل نحوه وينظر إليه برزانة، قبل أن يتنهد بصوت عالٍ ويقول له بحزم: «أريد حكاية، من فضلك، أيها السيد!».

شعرت كيت وكأن قلبها يوشك أن يتحطّم. كان زوجها السابق يحمل ابنهما، وأوليفر ينظر إلى أبيه وكأن أبطاله كلهم تجسّدوا فيه. كانت طعنة الألم في قلبها لا تحتمل. أرادت أن تنتزع أوليفر من بين ذراعي سين، وتحميه في حضنها. فالطفل المسكين لا يدرك أن أباه هذا رفض فكرة إنجابه حتى قبل أن ينجبه!.

قالت لسين تشرح سبب طلب ابنها حكاية منه: «والد صديق أوليفر يحكي له حكاية عند عودته يومياً من العمل».

أوليفر! حتى أنها أطلقت على الطفل الاسم الذي اختاره هو... وعندما نظر في عيني الطفل الرزينتين وجد أن من المستحيل أن يستاء منه أو يكرهه. فسأله وهو يبتسم له متجاهلاً كيت: «حكاية؟».

أومأ أوليفر بحماسة والتفت إلى أمه: «ماما. كتاب».

فقالت له بلهجة آلية: «تكلّم بشكل لائق يا أوليفر».

- ماما، أعطيني كتاب ليقرأه الرجل من فضلك.

ابتسم أوليفر بانتصار فشعرت كيت بنفسها تذوب حباً.

قالت مستعملة اسم سين من دون وعي: «سين مضطر للذهاب. سأقرأ لك حكاية في ما بعد».

- لا. سيقرأ سين حكاية أوليفر.

وعبس فخشيت أن تنتابه إحدى نوبات الغضب النادرة التي يعبّر بها عن إحباطه... وهذا آخر ما تريد أن يفعله أمام سين الذي سيشمت بها حتماً.

- لماذا لا تعطيني الكتاب؟.

هذا الصوت الهادىء الرقيق جعلها تلتفت إلى سين بدهشة. كان رأس أوليفر مستنداً إلى كتف سين، فقالت له: «لم يحن وقت نومه بعد، في الحقيقة».

- هل ثمة قانون ينص على ألاّ تُقرأ الحكاية إلا عند النوم؟.

هزَّت كيت رأسها صامتة وقد منعتها لوعتها لرؤية ابنها بين ذراعي أبيه من أن تواصل الاحتجاج، فذهبت لتحضر كتاب الحكايات المفضَّل لديه.

وبعد نصف ساعة، وبعد أن استسلم أوليفر للنوم بين ذراعي سين، قال هذا لكيت: «يبدو أن الصبي بحاجة إلى أن ينام».

- نعم، سأحمله إلى سريره.

وتقدمَّت لتأخذ أوليفر منه، لكن سين هزَّ رأسه: «سأحمله بنفسي. أرشديني فقط إلى غرفته».

أرشدته بضعف. وعندما وضع سين الصبي في سريره، عاوده شعور قديم قويّ مؤلم ظن أنه دمّره وانتهى منه منذ زمن. ابن كاتي! وشعر بعينيه تغرورقان بالدموع فغالبها بعنف.

عندما خرج من الغرفة وقف متردداً أمام باب غرفة النوم الأخرى، ثم فتحه بسرعة.

- إلى أين تدخل؟ هذه غرفتي!.

لم يكن قد سمعها تصعد السلم.

- أنت تنامين هناك وحدك؟.

لم يستطع أن يمتنع عن طرح هذا السؤال الذي يعلم أنه لا يحقّ له أن يطرحه.

- لا. فأحياناً يأتي أوليفر لينام معي.

وأشاحت بوجهها لئلا يرى التعبير الذي ارتسم في عينيها، بينما بقيت عيناه خاليتين من أيّ تعبير.

ما من سبب لمثل هذا الشعور الذي تملكه في هذه اللحظة، كما أنّ لا حق له عليه، كما اعترف لنفسه.

- كيف تستطيعين تدبّر أمورك وحدك؟ فأنا أعلم أنك تعملين بدوام كامل.

كان مقطباً وبدا مهتماً لأمرها، فابتعدت عنه وأسرعت إلى السلم. لن تقترف تلك الغلطة مرة أخرى... عندما ظنَّت أن سين يحمل لها مشاعر حقيقية.

- أتدبر أموري لأني مضطرة لذلك من أجل أوليفر. أنا كل ما لديه في هذه الحياة...

فقاطعها بصوت خشن أشبه بالإدانة: «أتعنين أنَّ أباه هجرك؟».

لم تستطع أن تصدق اللوم العنيف الذي سمعته في صوته، فأجابت بقدر ما أمكنها من هدوء: «نعم، لقد فعل».

وعندما وصلا معاً إلى الطابق الأسفل، تابعت تقول: «شخصياً، أظنّ أني وأوليفر، أفضل حالاً من دونه».

وسارت إلى الباب الأمامي تفتحه، مظهرة بوضوح أنها تريده أن يخرج. فقال ينبهها باختصار: «أريدك في مكتبك غداً صباحاً».

فأجابت باللهجة نفسها: «حسناً، لن تجدني هناك مع الأسف».

فشرع يقول: «أحذِّرك يا كيت من...».

- غداً هو يوم السبت يا سين. نحن لا نعمل في العطل الأسبوعية.

وساد صمت قصير تساءلت خلاله عن رأي المرأة التي تشاركه حياته

الآن في أنه يعمل سبعة أيام في الأسبوع، ثم قال: «حسناً جداً. الإثنين إذن، يا كيت، كوني هناك وإلاّ ستتحملين النتائج».

ومرّ بها وخرج من الباب.

٣ - عهد ووعد

- لا!.

وجلست كيت في سريرها غاضبة. الساعة الآن الثالثة من صباح الإثنين وهي بحاجة إلى النوم بدلاً من الاستلقاء مفكرة في سين وشعورها حين...

- لا...

واحتجت مرة أخرى بصوت معذّب وهي تتململ لتدفن وجهها في الوسادة ولكن من دون فائدة. لا يمكنها أن تتجاهل ذكرياتها أو مشاعرها.

حسناً، إذا لم تستطع تجاهلها، فيمكنها على الأقل، أن تذكّر نفسها بمعاملة سين السيئة لها، وبهذا تحصّن نفسها ضد تلك الذكريات فيوم الجمعة، حين عانقها، أوشكت أن تصفح عنه.

شعرت برعشة عنيفة تتملكها. لقد تذكر جسدها أن سين كان يعشقه... حسناً، إن قلبها مثقل بذكريات مماثلة، إن لم تكن أقوى، وهي ذكريات الألم الذي سببه لها.

لكن حبهما كان رائعاً للغاية. كان سين عاشقاً ملتهب المشاعر ومثيراً للغاية، وقد جعلها تكتشف أحاسيس ومشاعر لم تكن تعلم بوجودها.

لماذا تعذّب نفسها بهذا الشكل؟ وما دامت تفعل ذلك، فلِمَ لا تفعل بشكل صحيح وتتذكر شعورها في ليلة زفافهما؟.

www.liromancia.com

بعد أن تركت بيت عمتها، الذي لم تعتبره يوماً بيتها، انتقلت إلى شقة سين الصغيرة الذي أصرّ على أن يتزوجا. كان يقول لها دوماً: «لا أريد أن يولد ابني غير شرعي مثلي».

في البداية كان يكره أن يحدثها عن طفولته، لكنها أقنعته بصبر بأن يروي لها ذلك. ثم أخذا يحلمان معاً بأن يؤمنّا لأولادهما الطفولة المثالية المليئة بالمحبة التي لم يعرفها أيّ منهما.

تزوجا في مدينة ريفية قديمة هي مسقط رأس أمها التي توفّيت منذ وقت طويل، وهي لفتة شاعرية رائعة من جانب سين. ولكي يستطيعا الزواج فيها، كان عليهما أن يسكنا في المدينة ثلاثة أسابيع قبل الزفاف. وقد كسب سين من عمله ما يكفي من المال ليستأجر بيتاً صغيراً أقاما فيه هذه الفترة.

كانت الأسابيع الثلاثة أشبه بالفردوس، حيث حرص سين على أن ينتظر. فلم يستغل الوضع بل أقام كل منهما في غرفته الخاصة.

أمضيا ليلة الزفاف في بيتهما الصغير وحدهما. وكانت من الروعة بحيث أن عينيها تغرورقان بالدموع كلما تذكّرتها.

- ماما...

قاطع هذا الصوت أفكارها فهبت من السرير على الفور واتجهت إلى غرفة أوليفر.

- ماذا حدث يا حبيبي؟.

- بطني تؤلمني.

حاولت ألاّ تتأوه. غالباً ما يصيب ابنها وجع المعدة هذا، فجلست بجانبه تواسيه، وإذا به يسألها فجأة: «ماما، متى سيعود سين لزيارتنا؟».

كانت هذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها سين، وبعد أن أقنعت

نفسها بأنه نسيه تماماً. ولم تجد سوى أن تقول: «لا أدري، يا أوليفر».

لم تستطع أن تقول له إنه قد لا يرى سين مرة أخرى، رغم علمها أن عليها أن تفعل ذلك. فهي تحاول دوماً أن تجيب عن أسئلة ابنها بصدق، لكنها لم تستطع هذه المرة، وبسبب النظرة اللامعة المتوقعة في عينيّ ابنها.

عندما عاد الصبي إلى النوم كانت قد استيقظت تماماً، فيما انقبض قلبها في صدرها بضيق. هل أحسّ أوليفر، بشكل ما، بأن سين أبوه؟ وهل يمكن أن يألف سين إلى هذا الحد إذا لم يشعر برابط خاص بينهما؟.

«الطفل الذي يعرف أباه هو طفل حكيم».

تمتمت كيت بهذا المثل القديم عابسة، لكي تجنب نفسها الصور العنيفة التي تراءت لها.

ركنت كيت سيارتها متوجسة، ثم اجتازت موقف السيارات. آخر شخص تريد رؤيته هو سين. لماذا يقسو القدر عليها فيعيد سين إلى حياتها؟ إنها تكره العمل معه. لكن لا يمكنها أن تجازف بأن تجعله يجرها إلى المحاكم، كما قالت لها كارول عندما أخبرتها بما حدث.

أسرعت إلى مكتبها بقلق، كان أوليفر قد طمأنها إلى أن بطنه بخير هذا الصباح لكنها مع ذلك نبّهت مدرّسته إلى أنه لم يكن على ما يرام أثناء الليل.

- كيت!.

ابتسمت لورا ابتسامة واسعة عندما رأتها في المكتب وعلّقت: «لقد غيرت رأيك وستبقين!».

فأجابتها كيت بمرح: «يمكنك أن تقولي هذا، فقد قدم لي رئيسنا الجديد عرضاً لم أستطع أن أرفضه».

ثم أدركت ما فعلت عندما رأت الفضول على وجه لورا: «أحقاً؟ ألا تظنينه أكثر الرجال جاذبية؟».

قالت محاولة أن تتجاهل الطعنة التي شعرت بها في قلبها: «لا، لا أظنه كذلك».

- إذا كان هذا صحيحاً فأنت الأنثى الوحيدة هنا التي لا ترى ذلك. وعندما تعلمين أنه عازب وغير مرتبط...

أخذ قلبها يخفق، لكنها قالت تتحدى صديقتها وزميلتها: «من قال ذلك؟».

- جون. ويبدو أنه أخبره بذلك بنفسه.

وتساءلت كيت عمَّا ستقوله لورا لو أخبرتها أنه، وعلى عكس ما قاله لجون، لديه رابط قوي وهو ابنها؟.

عندما أنهى سين مخابرته الهاتفية مع محاسبه، بقي عابساً. ولكن لم يكن لعبوسه علاقة بالعمل. شعر وكأن مشاعره مشوشة كفتى غرير، وهذا ما لا يليق برجل في سنّه، خاصة وأنه يعتبر نفسه محصناً ضدّ ثورة المشاعر وقادراً على التحكم فيها. عندما انفصل عن كيت، أقصى نفسه كلياً عن كل ما يتعلق بها أو يخصّها، وتعمّد أن يمحو كل ما يتعلق بها من حياته. ربما من حياته ولكن ماذا عن قلبه؟.

ذكّر نفسه غاضباً بأن لا شيء تغيّر. الأسباب نفسها التي جعلته يطلّقها ما زالت موجودة، وستبقى موجودة إلى الأبد. إنه يعلم أنه لا يستطيع أن يغيّر تلك الأسباب أو ينساها!.

دفع كرسيه بحركة عصبية ثم سار إلى النافذة. هل هذا صحيح حقاً؟ وإذا كان كذلك، فما الذي فعله أثناء هذه العطلة الأسبوعية؟ فهو لا يمضي عادةً عطلاته الأسبوعية في متاجر الألعاب، كما لا يمضيها حتماً في القيام بأشياء غبية مثل شراء قطارات الأطفال الغالية الثمن.

أغمض عينيه ودس يديه في جيبيه متوتراً غاضباً.

لا بأس. لم يتعمَّد الخروج ليشتري القطار وكان لديه أسبابه ليذهب إلى المتجر إذ أراد أن يستبدل قطعة منزلية. ووجود قسم الألعاب بجانب قسم أجهزة التلفزيون مجرد صدفة. لا يحتاج حقاً لأن يخضع نفسه للتحليل فقط لأنه اشترى القطار ذاك. على أيّ حال، لم يشتر ذلك الشيء اللعين إلا تفادياً للإحراج بعد أن أخطأت البائعة وظنته يريد أن يشتريه.

وقد تخلّص منه عند أول فرصة. بدت التسلية في عينيه وهو يتذكر التعبير الذي ارتسم على وجه الصبي وهو يعطيه ما اشترى. وقد احتجّت الأم المتعبة في البداية لكن سين أصرّ، راجياً ألاّ تظن المرأة أنَّ لديه دوافع خفية. وهذا لا يعني أنه لا يحق لها أن تسيء الظن بدوافعه! العيش في الماضي وشراء ألعاب فقط لأن... فقط لأن ماذا؟ فقط لأنّ ذكريات فترة في حياته عادت إلى الحياة حين حمل ابن كيت بين ذراعيه...؟.

إنها مرحلة من حياته وقد مضت، كما حاول سين أن يذكّر نفسه. لكن الحقيقة تجلّت أمامه الآن حتى وإن رفض أن يميّزها أو يعترف بها.

- أتحبين أن نذهب إلى المقهى لتتغدى؟.

هزّت كيت رأسها من دون أن ترفع بصرها عن شاشة الكمبيوتر: «لا أستطيع، مع الأسف، يا لورا. أريد أن أنهي هذا العمل. على أيّ حال، أحضرت معي بعض الشطائر».

سيكون الغداء في المقهى مع مساعدتها ممتعاً ومريحاً، لكن بما أنها أم وحيدة فعليها أن تراقب ميزانيتها دوماً.

بعد خروج لورا، نهضت كيت وحملت شطائرها. كان في الشركة غرفة استراحة صغيرة تحوي آلة لتحضير القهوة والشاي مع سخّان للطعام يستخدمهما الموظفون أثناء فترة الاستراحة والغداء. كانت قد اجتازت الممرّ لتوّها وسارعت في نزول السلم الضيّق عندما خرج سين فجأة من

أحد المكاتب وأسرع يصعد السلم نحوها.

ذعرت كيت وهي ترى رد فعلها الفوري العنيف، وهو من آثار تلك الأيام التي كانا فيها زوجين. وقبل أن تستطيع منع نفسها، نزلت أولى الدرجات ما سيجعلها في طريقه.

أدركت على الفور ما تفعل فجمدت مكانها. واحمرّت وجنتاها خزياً ومذلة عندما تجسدت أمامها ذكرى واضحة لسين وهو يسرع بارتقاء سلم منزلهما الصغير لكي يمسك بذراعيها ويؤرجحها بحماسة قبل أن يحتضنها ويأخذ في معانقتها بجوع عنيف.

تحكّمت في أفكارها وقد توهج وجهها، فقال عابساً وهو يرى مدى ذهولها: «كاتي! ماذا حدث؟ ما الذي يجعلك...؟».

حاولت أن تبتعد بفزع، لكنه أمسك بذراعها العارية، فقالت بحدة: «لم يعد هناك كاتي. اسمي كيت! أما بالنسبة لسؤالك عما حدث... فهل أنت بحاجة حقاً لطرح مثل هذا السؤال عليّ؟».

لعلها كيت الآن، لكن كاتي ما زالت في داخلها، كما اضطرت كيت للاعتراف. فعلى عكس كلماتها الغاضبة، تجاوب جسدها مع لمسته. هل السبب هو أن أحداً لم يلمسها بعد أن طلّقها ما جعل جسدها المحروم يرتجف بعنف؟ أم لأن سين هو من لمسها؟ أم أنه عندما عانقها أطلق ذكريات لم يعد جسدها يستطيع تجاهلها؟ وهل يتجاوب جسدها الآن مع رغبة مضت؟ لكنها، وبشكل ما، لم تستطع أن تمنع نفسها من الاقتراب منه. وكان سين ينظر إليها فراحت تبادله النظر وقد سمّرتها عيناه وأدارتا رأسها.

سيكون من السهل جداً أن تلقي بنفسها بين ذراعيه وتشعر بهما تطوقانها، أن تنظر في عينيه وتنتظر نظرته المألوفة التي تفيض شوقاً، بينما ترتسم على فمه ابتسامته غير العادية...

وانفتح باب بجلبة أعادتها إلى أرض الواقع. وفجأة، تراجعت خطوة عن سين وقد التهب وجهها. ربما، منذ سنوات، لم تكن تحتاج إلى إخفاء مشاعرها عنه... فقد كان عشيقها وزوجها وأفضل أصدقائها... لكن الأمور اختلفت الآن، كما ذكرت نفسها وهي تبتعد عنه.

سألها وهو يترك ذراعها ويشير إلى الصندوق الذي تحمله: «ما هذا؟».

فأجابت: «إنه غدائي».

نظر إلى صندوق البلاستيك عابساً وقال بسخرية: «غداء في هذا؟ يفترض بك أن تأكلي جيداً من أجل ابنك».

محا الغضب والانفعال، وهي تسمع إنتقاده، ما شعرت به نحوه منذ لحظات من مشاعر محمومة: «المعلوماتك الخاصة، وإن لم يعد من حقك أن تحقق في ما أفعله يا سين... غدائي أصبح بهذا الشكل من أجل أوليفر».

ولوّحت له بالصندوق البلاستيكي الصغير وهي تتابع: «تربية أيّ طفل تحتاج إلى مال... وهذا لا يعني أنك تعلم ذلك أو تهتم بذلك ما دمت اخترت ألاّ ترهق نفسك بحمل عبء الأولاد. والشطائر أرخص كثيراً من الذهاب إلى مطعم. ما الخطأ في ذلك يا سين؟ أم هل يمكنني أن أخمّن؟ لعل الكل هنا يعتبرك ذلك الرئيس المتفهّم والمتعاطف، لكن ما أعرفه مختلف. كما أعرف، قبل أن تذكّرني، أنك غني إلى حد يسمح لك بأن تأكل في أفخم مطاعم العالم وأغلاها، هذه الأيام. لكن مضى وقت كانت الشطيرة تمثّل لك فيه ترفاً».

عندما رأت وجهه يتوتر غضباً، تساءلت عمّا إذا تجاوزت الحد، لكنها لم تشأ أن تتراجع، آملة أن يفهم ذلك من وجهها.

فقال بهدوء: «أتصور أن لابنك أب. لماذا لا ينفق على تربيته؟».

نظرت إليه صامتة ثوانٍ عدة، مفكرة بمرارة بما سببه لها من ألم بعدم اهتمامه، ثم قالت له برزانة: «والد أوليفر لا ينفق عليه لأنه لا يريده».

وأسرعت تهبط السلم خوفاً من أن تقول أكثر من ذلك فيفلت منها زمام الأمور.

نظر إليها وهي تذهب، وإلى غدائها في العلبة، وإلى قوامها الهزيل جداً، وإلى التوتر والقلق البادين في عينيها. حتى وإن ظنّت أنها تخفي ذلك جيداً، إلا أن حياتها الآن بعيدة للغاية عن حياة الترف والرفاهية التي كان بإمكانه أن يؤمّنها لها.

هل تراها فكرّت فيه عندما كانت مع والد طفلها؟.

نبذ أفكاره عابساً، مدركاً أنّ لا فائدة منها، لا بل أنها خطرة جداً.

وبعد ساعتين، بقيت كيت عاجزة عن التركيز على أي شيء ما عدا سين. كانت خفقات قلبها سريعة، وعضلاتها متوترة. كان الوضع يسير من سيء إلى أسوأ، وهي تعلم ذلك.

رغبتها في أن تحافظ على الحياة التي تنمو في داخلها منحتها القوة لتعيش الشهور المليئة بالآلام التي مرت عليها بعد طلاقها من سين. وكان عليها أن تبتهج رغم المصاعب وذلك من أجل أوليفر فحبها له هو الحب الوحيد الذي سيحصل عليه.

اكتشفت أنها حامل منذ شهرين بعد أن هجرها سين طالباً الطلاق، إذ أُغمي عليها في أحد المتاجر لشدة ما كانت مرهقة نتيجة أحزانها.

حتى ذلك الحين، لم يكن يهمها سواء عاشت أم ماتت. لا، هذا ليس صحيحاً، فلو كان لديها الخيار حينذاك لفضلت الموت. لم تستطع أن تتصور كيف ستمضي حياتها من دون سين الذي قال لها بقسوة: «ستنسينني سريعاً وستقابلين رجلاً آخر يمنحك أولئك الأطفال اللعينين الذين تحبينهم إلى هذا الحد». تلك الكلمات طعنتها في الصميم. إنه

الرجل الوحيد الذي أرادت أطفالاً منه، لكنه لم يعد يحبها. البيت الذي عاشا فيه أصبح فارغاً فيما عاشت هي في شقة مستأجرة رافضة أن تأخذ أيّ مال من سين. لم تكن لديها فكرة أين يعيش... وإذا بها تكتشف فجأة أنها حامل. لقد رفضها وكاد الألم أن يدمّرها، لكنها لن تتخلّى عن طفلها وتتركه لهذا النوع من الألم.

وعدت نفسها بأن تجد طريقة تنسيها حب سين. وعندما وُلد أوليفر، خطر لها أنها وجدت الطريقة المثلى لتنساه.

عليها أن تبتعد عن سين. اعتقدت أنها لم تعد تحبه، لكنها تخشى الآن أنّ تكون قد أخطأت. لم يكن الألم الذي عانته مجرد ألم، بل إنّ جزء منه كان عبارة عن شوق إليه أخذ ينتشر في داخلها. ستترك هذا المكان مهما هددها سين. وستخبره بذلك، الآن!.

نهضت مضطربة وأسرعت إلى باب مكتبها الذي تركته مفتوحاً وأسرعت إلى المكتب الذي كان يوماً ما مكتب جون. إنه الآن مكتبه، مكتب سين الذي بدأ يتأقلم مع العمل يوماً بعد يوم.

لم تجد أحداً في المكتب الخارجي، ومنعها الانفعال من التمسك بالرسميات فاندفعت إلى المكتب الداخلي فإذا به خالٍ. أو هذا ما ظنته على الأقل. لاحظت أن الباب المؤدي إلى الغرفة الداخلية الذي كان جون يستخدمها لتبديل الملابس والاستحمام موارب. وسمعت صوت حركة شخص في داخلها... شخص؟ لا يمكن أن يكون سوى سين.

أخذت نفساً عميقاً ثم سارت بعزم نحوها، لكنها عادت فترددت، بينما بقيت يدها على مقبض الباب. فمن ناحية، لم تكن مستعدة لمواجهة أخرى معه، لكنها، من ناحية أخرى، تريد أن تنهي الموضوع وترتاح.

تنحنحت متوترة، ثم أخذت نفساً عميقاً ونادت: «هل أنت هنا، يا

سين؟ ثمة ما أريد أن أحدثك به».

أثناء الصمت الذي تلا، ابتدأت كيت تفقد شجاعتها. لعلها مخطئة. حتى أن سين قد لا يكون هنا...

همّت بالانصراف، وإذا بها تجمد مكانها عندما انفتح الباب ووقف سين عند العتبة لا تغطيه إلا المنشفة الملتفة حول خصره.

بقيت ثوانٍ عدة لا تستطيع الحراك أو الكلام أو أي شيء عدا التحديق إليه بعينين متسعتين ووجه متوهج.

- أنت تستحم.

هل ذلك صوتها حقاً؟ هذا الصوت الناعم المنخفض. فأجاب بجفاء: «بل كنت».

كافحت الألم الذي راح ينتشر في جسدها، وتمسكت بالغضب كسلاح رئيسي للدفاع. وأشاحت بنظراتها الخائنة بعيداً.

وبينما كانت تتعارك مع نظرها الذي ثار عليها فجأة، وبعد أن أوشكت أن تخسر المعركة، سمعته يقول بإيجاز: «من الأفضل أن تدخلي... وتغلقي الباب».

ماذا قال؟ كانت على وشك أن تعترض بلهجة صارمة للغاية، عندما أضاف برقّة بالغة: «إلاّ إذا أردت أن تجازفي بدخول شخص إلى المكتب ليجدك هنا معي وأنا بهذا الشكل».

كانت تعلم أن ثمة مئة اعتراض ترد به عليه، ولكن، وفيما هي تناضل لتتذكر أحدها، مدّ سين يده وأغلق الباب ثم أقفله. سألته وهي تخشى أن يظهر القلق في صوتها: «لماذا؟ لماذا أقفلت الباب؟».

فأجاب بجفاء: «لأنني لا أريد يأتي أحدهم إلى هنا، لماذا ظننتني أقفلته؟ أم أنك تذكّرت...؟».

فقاطعته بذعر: «لم أتذكّر شيئاً، أردت فقط...».

عندما تعارفا، كان مكتمل الرجولة، وظنت حينذاك أنه من المستحيل أن يصبح أجمل مما هو عليه، من عنقه القوي إلى كتفيه العريضتين القويتين، والصدر الفسيح الرائع والبطن المسطحة المشدودة العضل.

لكنها كانت مخطئة! أم لعلّ الزمن أشفق عليها فأنساها روعة رجولته، وافتتانها به، كيلا يزيد من ألمها؟.

فوق المنشفة رأت الندبة البيضاء التي تذكرها جيداً. كانت الندبة نتيجة حادثة تعرّض لها عندما ابتدأ يعمل. كان في الخامسة عشرة أيّ في سن يفترض أن يكون فيها في المدرسة. وعندما أخبرها كم تألم من الجرح، لكنه أخفى ألمه كيلا يسخر منه زملاؤه، بكت ولامست الجرح بأطراف أناملها وكأنها تمسح ذاك الألم. وبعد ذلك...

عندما أدركت المنحى الذي اتخذته أفكارها، وأن هذا المنحى لم يكن نتيجة ذكريات الماضي بل نتيجة المشاعر الجامحة في تكرار ذلك حالياً، تملّكها الذعر. عليها أن تخرج من هنا... الآن!.

واستدارت بسرعة إلى الباب.

- كيت!.

مدّ يده يمنعها من الخروج وقد فوجيء بحركتها المضطربة المفاجئة. شعر بمعصمها الذي أمسك به أكثر هزالاً ورقة مما يتذكر، فأغضبه عدم اهتمامها بنفسها وصحتها. وزاد من غضبه أن الرجل والد طفلها آلمها وهجرها. التفكير في وجود من يتسبب لها بالألم جعله يرغب في حمايتها. وقبل أن يستطيع منع نفسه، شدّها إلى ما بين ذراعيه متجاهلاً مقاومتها ثم دفن يديه في شعرها، غير مدرك أنه بعث الحياة في جزء على الأقل من ذاكرة كيت.

- أنا مسرور لأنك لم تقصي شعرك.

جمدت مكانها عند سماع كلماته واحساسها بحرارة يديه على مؤخرة رأسها، وصدرت عنها آهة من أعماق مشاعرها الملتهبة. وكأنما كانت هذه الإشارة التي يتنظرها فراح يعانقها فجأة، بعنف وجوع كبيرين.

لم يعد هناك ماض، ولا ألم، بل الحاضر وسين.

التصقت به بمشاعر المرأة التي كانتها، وليس المرأة التي هي عليها الآن. كان لتلك المرأة الحق في أن تلتمس التواصل الحميم مع سين، تماماً كما كان له الحق في أن يفعل ما يشاء معها. هذه الحقوق نتجت بفعل الحب وقوة عهود الزواج. ومع أن كيت حاولت أن تذكر نفسها بأنهما لم يعودا يتشاركان هذه الحقوق، إلاّ أنّ حواسها رفضت الإصغاء.

تأوه سين وهو يشعر بجسد كيت بين ذراعيه. لقد مضى وقت طويل! طويل جداً وهو يتحكّم في نفسه. وسجّل عقله نبضات قلبها المتسارعة، فأثاره ردّ فعلها وتجاوبها معه.

قال: «أنت تدركين ما يحدث، أليس كذلك؟».

لم تعرف أيّ رجل طوال مدة فراقهما. كما لم ترغب في الزواج لأنها لم تشأ أن يلمسها أيّ رجل. أما سين... فله تأثير المخدر عليها. وهو يثير أحاسيسها بنظرة واحدة أو لمسة.

- كيت... كيت.

نطقه باسمها بمثل هذا العذاب أثار مشاعرها. وكان الشوق في أعماقها يملي عليها تصرفاتها.

هذه هي الجنة... كما أنها الجحيم. هذا كل ما أراده وكل ما لا يستطيع الحصول عليه على الإطلاق.

شدّ ذراعيه حولها فتعلّقت به بشوق، لكنهما أجفلا فجأة عندما رن

الهاتف في الغرفة الخارجية.

اكتسحها شعور بالمذلة بسبب ما فعلت، فأخذت تسوّي ملابسها ثم هربت متجاهلة أوامره بأن تبقى حيث هي.

www.elromancia.com

٤ - ليس ابني!

- والآن، هذا الفيروس التعيس الذي ينتشر في الأنحاء...

ضغطت كيت بيدها على صدغها تخفف من الصداع الذي تعانيه لتركز على ما تقوله كارول. وتابعت هذه تقول: «إنه فيروس قوي حقاً. كنت أتساءل عمّا إذا كان من الأفضل أن أبقي جورج بعيداً عن المدرسة حالياً».

ورغم صداعها، شعرت كيت بالحسد حيال جارتها التي تستطيع أن تتخذ مثل هذا القرار. فهي لا تستطيع أن تعمل إذا لم تترك ابنها في الحضانة. وإذا لم تعمل، فكيف تعيش هي وابنها؟.

بعد رحيل كارول، نظرت كيت إلى ابنها بشيء من القلق. فرغم أنه يلعب مسروراً مع جورج، إلا أنه أهدأ من العادة. سألته بقلق: «أما زلت تشعر بذلك الوجع في بطنك يا حبيبي؟».

لكنه لم يجب عن سؤالها بل أذهلها حين طرح سؤالاً آخر: «هل سيأتي سين مرة أخرى؟».

سكتت، شاعرة بغصة في حلقها وألم في قلبها لم تعرف مثله قط. أرادت أن تعانق ابنها فلا يستطيع أحد أو شيء أن يؤذيه على الإطلاق، ولكن لا فائدة من أن تخفي الحقيقة عن نفسها أكثر من ذلك. عصر هذا اليوم، وهي بين ذراعي سين، أدركت أنها ما زالت تحبه.

إدراكها لذلك هو ما جعلها تهرب منه. فهو لم يعد يحبها، وقد

أخبرها بذلك منذ خمس سنوات. وعندما يموت الحب لا يبعث إلى الحياة أبداً.

- لا يا أوليفر. لن يعود مرة أخرى.

زمّ أوليفر شفتيه إستياءً: «لكنني أريده أن يأتي».

شعرت بالألم يمزق تحكّمها في نفسها، وعندما أخذت تمر بيدها على شعره، نظر إليها نظرة اتهام، ثم طرح عليها السؤال الذي تخشاه: «لماذا ليس لي بابا مثل جورج؟».

تملّكها الحزن والقنوط. كيف تخبره بأن له أباً ولكن أباه لا يريده؟ إنه أصغر من أن يفهم الحقيقة، لكنها لا تستطيع أن تكذب عليه. فقالت بلطف: «لا يعيش الآباء والأمهات كلهم معاً مثل والدي جورج».

وسكتت وهي تنظر إليه بانتظار أن يستوعب كلماتها.

- أين يعيش بابا إذن؟.

الطرقات العنيفة في رأسها جعلتها تشعر بالغثيان، لكن علمها بأن يوماً سيأتي لن تتمكن فيه من المراوغة والتخلّص من أسئلة أوليفر بسهولة، أثقل قلبها.

- حاون وقت النوم، يا أوليفر. أي قصة تريدني أن أحكي لك الليلة؟.

مضت لحظة ظنت فيها أنه سيرفض محاولتها هذه للتهرّب ويكرر سؤاله، لكنها ارتاحت حين لم يفعل.

أخذ سين ينظر بكآبة من نافذة شقته الفخمة المستأجرة، وهو يقيّم مستقبل شركته الجديدة. في المناسبات النادرة، التي سمح فيها لنفسه بالتفكير في كيت وذلك منذ الطلاق، كان يتصوّرها تعيش عيشة قروية سعيدة راضية مع زوج شغوف في بيت مليء بالأطفال كما كانت تحلم.

لكن واقع حياتها الآن صدمه. نعم، لقد أشبعت شوقها إلى الأمومة، ولكن أين هو الرجل الذي ينبغي أن يكون معها؟ يحبها ويحميها؟.

لم ينس سين الحياة التي عاشها قبل أن يصبح غنياً... وهل يستطيع ذلك؟... وأدرك أن حياة كيت الحالية هي من دون شك كفاح شاق في سبيل كسب المال.

لماذا لم ترفع دعوى نفقة على ذلك القذر الذي تركهما، هي وابنه؟ فبرأيه، أي رجل ينجب طفلاً عليه أن يساهم في نفقات تربيته. وفكّر في طفولته هو... كان يعلم مدى صعوبة حياة الطفل الفقير. وإن كان هذا لا يعني أن أوليفر يعيش في فقر، إنما بدا واضحاً أن أمه بحاجة إلى أن تكافح لكي تعيله.

دفع يده في شعره غاضباً. عندما عرف كيت... كاتي حينذاك، كان فتى غير مثقف، ومعادياً للمجتمع ويشعر بعبء ثقيل للغاية على كتفيه. لم تعطه كاتي حبها وحسب، بل أكثر من ذلك بكثير. ساعدته وشجعته بكل طريقة ممكنة، وإيمانها به جعله الرجل الذي هو عليه اليوم. ليته يستطيع فقط أن يردّ لها ذلك الدين!.

ابتعد عن النافذة. بدت شقته وكأنها صورة في مجلة من مجلات الموضة والمجتمع، وهي حتماً ليست مناسبة لطفل. كما أنها لا تشبه ذلك البيت الذي وعد كيت بأن يشتريه لها يوماً.

أغمض سين عينيه وتنفس بعمق. أتراها أحبت ذلك الرجل الذي جعلها تحمل بأوليفر؟ ومن يكون هو على أيّ حال؟.

كانت مفاتيح سيارته في المطبخ. الوصول إلى كوخ كيت يتطلب أقل من نصف ساعة.

لقد اتخذ قراره. سيصرّ عليها حتى تعطيه اسم والد أوليفر، ثم يحرص على أن يجعل الرجل يدرك مسؤوليته نحو ابنه وأم ابنه. سيتابع

الأمر بنفسه لاحقاً.

كان أوليفر نائماً في سريره. والغسيل الذي علقته هذا الصباح لينشف، قبل ذهابها إلى العمل، كان جاهزاً للكيّ، مالئاً الغرفة برائحة النظافة.

كانت كيت تحب إنهاء أعمالها المنزلية في المساء حين يكون أوليفر نائماً، لتتمكّن في العطلات الأسبوعية من الاهتمام بابنها.

كانت قد صممت على أن تبذل قصارى جهدها لكي تجعل أوليفر يشعر بالانتماء إلى جماعة ما ومكان ما، حتى وإن لم يكن والده موجوداً.

أظلم ظل نافذة المطبخ فرفعت عينيها إليها، ثم جمدت وهي تراه. إنه ظل سين.

اقشعرّ جسمها وهي تكبح خوفاً غير منطقي من أن يكون حضوره استجابة لأفكارها... لأفكارها أم لرغبة أوليفر؟.

عليها ألاّ تفكر بهذه الطريقة، حدثّت نفسها بذلك بحزم، وهي تطفىء المكواة وتسرع إلى الباب تفتحه قبل أن يطرقه سين، كيلا يستيقظ أوليفر.

لماذا جاء؟ هل ليخبرها أنه غيّر رأيه وأنه لا يريدها أن تعمل معه في الشركة؟ والغريب أن هذه الفكرة، وبدلاً من أن تسرّها، زادت من آلامها. الألام والخوف من أن يكون تجاوبها معه قد جعله يدرك، كما أدركت هي، أنها ما زالت تحبه.

على أيّ حال، لم يكن سين من أولئك الرجال المغرورين الذين يستمتعون بحب امرأة لا يحبونها. ونظراً لتصميمه على إخراجها من حياته عندما لم يعد يحبها، فسيتصرف الآن بالقسوة نفسها التي تصرف بها حين طلّقها.

وعندما دخل إلى المطبخ خطر في بالها أنّ القدر يسخر منها، فهي تخشى الآن أن يطردها من العمل، فيما كانت تريد منذ وقت قصير أن

تستقيل من الشركة.

- لماذا جئت يا سين؟ ماذا تريد؟.

طرحت سؤالها هذا وهي تشعر في الوقت نفسه، بشوق إلى أن يأخذها بين ذراعيه ثم...

وكان ضعفها خطيراً مألوفاً سبق وجرى في عروقها. كان يقف قريباً جداً منها... قريباً بحيث لاحظت أنه حلق ذقنه حديثاً وترك على عنقه جروح طفيفة.

ومن الماضي البعيد، عاودتها ذكرى حين كانت تقف أمامه في الشارع المشمس حيث يعمل. كان يغيظها مداعباً فحاولت أن ترد عليه بالمثل فعيّرته بلحيته النابتة. حدّق إليها، حينذاك، ثم أجابها متعمّداً أنه يفضّل أن يحلق ذقنه قبل الذهاب إلى السرير كيلا يخدش بشرتها.

وتملّكها حسّ بالوحشة والخسارة.

قال لها بطريقة جعلت خفقات قلبها تتسارع: «من هو والد أوليفر، يا كيت؟».

تشبثت بحافة مائدة المطبخ وهي تغالب الصدمة التي تملكتها، متسائلة بعنف بما يمكنها أن تجيب. فجأة أدركت أن ما من حلّ سوى أن تخبره الحقيقة.

وقبل أن تفقد شجاعتها وتغير رأيها، أخذت نفساً عميقاً وقالت بهدوء: «إنه أنت، يا سين».

في الصمت الذي تلا، شحب وجهه كلياً، ثم عاد فتوهج حتى اصطبغت وجنتاه بالحمرة.

ثم انفجر منكراً: «كلا».

تردد إنكاره في أنحاء الغرفة بقوة ليعود فيضربها أشبه بقذيفة مميتة

قضت على آمالها.

وكرّر بعنف: «لا! لا! أنت تكذبين عليّ، يا كيت. أعلم أنني آلمتك عندما فسخت زواجنا، وأتفهم بسهولة سبب تعرفك إلى شخص آخر، ولكن من المستحيل أن أصدق أنني والد أوليفر».

شخص آخر؟ وامتلأت بالمرارة والغضب وهي ترى سين يرفض ابنه. وخلف غضبها، انهارت آمالها الكئيبة. ما الذي توقعته؟ أو ما الذي كانت ترجوه؟.

أرادت أن يأخذها سين بين ذراعيه ويقول لها إنه أخطأ وإنه ما زال يحبها، وإن حبه لها الآن ازداد لأنها أعطته ابناً.

قالت باتزان: «نعم، لقد آلمتني حينذاك، يا سين. لكن قسوتك تلك لا تقارن بما فعلته لتوّك، صدّقني. يمكنك أن تؤلمني قدر ما تشاء، لكنني لن أدعك تؤلم أوليفر أبداً، أبداً».

وعندما أرغمت نفسها على النظر في عينيه، كان شعور الأم بالحاجة إلى حماية ابنها قد أزاح المشاعر والآلام كلها التي تفيض بها عيناها، ليحتل مكانها. فهي من أجل أوليفر، مستعدة للتضحية بكل شيء وأي شيء، وبنفسها إذا اقتضى الأمر. لا يمكنها أن تنكر أنّ حبها لسين لم يمت، لكنها مستعدة لأن تتجاهل ذلك الحب وتبتعد عنه من أجل أوليفر. وستعتاد على أن تعيش مع الألم بأيّ شكل.

رد فعل سين على ما أخبرته به عن أنه والد أوليفر أكد حكمتها في عدم إخباره منذ البداية بأنها حامل بابنه. لكن كل هذا مزّق قلبها بشكل لم تعد معه تستطيع احتمال الألم.

لكن غضبها واحتقارها له من أجل ابنها، هما ما شعّ من عينيها الآن وهي تقول له بمرارة: «لا بأس يا سين، ارفض أوليفر الآن كما رفضتني، ولكن ذلك لن يغيّر حقيقة أنه ابنك».

الجهد الذي بذله ليتمالك أعصابه، ترك لديها شعوراً بالشماتة مع إحساس أشبه بطعنة سكّين في قلبها. وعاد وجهه إلى شحوبه السابق وهو يقول بإصرار: «لا يمكن أن يكون ابني».

- ولماذا لا يمكن؟ ألأنه عندما تكوّن في أحشائي كنت أنت تنام مع المرأة التي تركتني بسببها؟ ماذا حدث لها بالمناسبة؟ هل مللتها كما مللتني؟

كانت من الإنفعال بحيث لم تستطع إنتظار جوابه، فقالت له غاضبة: «يمكنك أن تنكر كما تشاء، ولكن ذلك لن يغير الحقيقة وهي أنه ابنك. ألا تظن أنني أتمنى لو أنه لم يكن ابنك؟ ألا تظن أنني أتمنى أن يكون وليد الحب ومن رجل يحبني؟ رجل يحبه؟ رجل يريد أن يشاركنا حياتنا ويعيش معنا؟ لن تعرف أبداً كم كنت متلهّفة إلى هذه الأمور، يا سين، من أجلي ومن أجل أوليفر. لكنني، وعلى عكسك أنت، واجهت الحقيقة والواقع».

كانت ترتجف من رأسها حتى أخمص قدميها، وتكاد تبكي إذلالاً.

مضت دقيقة منعه فيها ذهوله إزاء انفجار كيت الغاضب المزدري، من الجواب، ليكتشف بعدئذ أنه يودّ أن يتمكن من تصديقها. فهي تقوم بجهد بالغ لكي تصدق نفسها، كما لاحظ ساخراً. لكن سخرية العالم كلها لم تستطع أن تمحو قوة تجاوبه الفوري مع ثورة مشاعرها. الألم، الغضب، الشوق البالغ الذي لا يصدّق والذي يمزقه.

ما الذي حدث لضبط النفس الذي كان يزهو به؟ وما الذي حدث للصدق الذي كان جانباً أساسياً من شخصية كيت؟ من الواضح أن هذا شيء جديد عليه أن يتفجع لخسارته هذه الصفة مع خسائره الأخرى. وأمضى وقتاً طويلاً حتى تمكّن من كبح دافع غريزي حثه على التقدّم منها واحتضانها، وقال لها بقسوة: «أنت تضيعين وقتك سدى، إذ لا فائدة من

هذا. أوليفر ليس ابني».

واستدار مبتعداً عنها كيلا ترى ما ارتسم على وجهه من تعبير: «ولا شيء تقولينه سيجعلني أعترف به ابناً».

حدّقت إليه ووجهها يتوهج غضباً، ولكن قبل أن يتسنى لها أن تقول شيئاً، قال بخشونة: «بالله عليك يا كيت. لا تجعلي الأمر أسوأ مما هو عليه. أتقبّل فكرة أنك منحت نفسك لرجل آخر بعد انتهاء زواجنا، حتى لو كان ذلك من باب القصاص لي، وأتقبّل فكرة أنني أستحق ذلك. لكنني لا أتقبّل أبداً فكرة أنك نمت مع رجل آخر بينما كنا لا نزال متزوجين».

فصرخت به: «أتعني كما فعلت أنت؟ ماذا حدث لها، يا سين؟».

- لم تعد في حياتي. كانت مجرد علاقة غرامية قصيرة.

بدا مغتاظاً أكثر منه قلقاً. وأضاف جوابه المزيد من الوقود إلى غضبها: «يا لمهارتها! لا بد أنها أدركت أنك ستخونها في النهاية كما خنتني».

نظر إليها بمرارة: «إذا ذكرنا الخيانة فأنت تفوقت عليّ، يا كيت. لقد اقترفت أفظع نوع من أنواع الخيانات حين حاولت أن تنسبي ابن رجل آخر إليّ».

التهب وجهها غضباً: «لا يمكن أن أنحطّ أبداً إلى هذا المستوى. لا أطيق التفكير في ما فعلته أنت... ليس فقط بي بل بأوليفر وهو الأهم! لقد أنكرت على ابنك حقه في أن يعرف أباه و...».

مدّ يده غاضباً وأمسك بمعصمها: «أوليفر ليس ابني!».

ترددت كلماته الخشنة في أنحاء المطبخ وحاولت كيت انتزاع يدها منه وهي تقول بعنف: «أكرهك يا سين. أنت لا تعرف كم أتمنى لو أني لم أعرفك قط، وكم أكره نفسي لأنني سمحت لك بأن...».

فقاطعها: «سمحت لي بماذا؟».

كانت تشعر بضغط أصابعه على لحم ذراعها الطري وهو يشدّ جسمها إلى جسمه المتوتر، فيما تابع يقول: «بأنني جعلتك تشعرين بمثل هذا الشعور؟».

وضمّها بين ذراعيه بقوة. فامتزج الغضب بالزهو في داخلها ما جعلها تضطرب بينما أخذ الشوق إليه يسري في دمها بشكل خطير. كانت تشعر برد فعل جسد سين العنيف. وإذا بها بشكل مذهل وعلى الفور تعود إلى زمن آخر، وإلى عناق آخر.

في بداية تعارفهما، فاجأها بعناق في الظلام عندما أعادها إلى البيت بعد أول موعد حقيقي لهما.

سرت البهجة في كيانها وهي تشعر برجولته العنيفة. كانت صغيرة وساذجة إنما محمومة المشاعر مع سين.

والآن هي...

ولكن، متى انتهى ذلك؟ تساءلت ورأسها يدور، والسنوات تعود بها إلى الوراء كما عاد جسدها وحواسها ومشاعرها إلى ما كانت عليه وهي فتاة صغيرة.

سمعت كيت أنيناً ضعيفاً يصدر من بين شفتيها، فشدّها إليه أكثر وكأن ذلك الصوت الذي صدر عنها كان توسلاً وليس احتجاجاً.

ارتجفت عندما ازداد ضغطه عليها ما جعله يزيد من شدّها إليه. وغريزياً، تأوهت وهتفت باسمه.

فقدت الاحساس بالزمان والمكان وكل شيء ما عدا سين ورغبتها فيه.

واستجاب سين لمشاعرها وكأنما انفتح له باب وأدخله إلى مملكة

السحر الضائعة التي طال بحثه عنها.

وفي لحظة تعقُّل، انتبهت ذاهلة إلى أنها عادت إلى الوراء، إلى حين كانت مراهقة عذراء. تأوه سين وهو يضمّها إلى صدره ورأته يتوتر فأصبح تعقلها شيئاً من الماضي.

هل يتذكر سين كم كانت تتأثر بلمساته؟ هل يتذكر كيف كان يخرجها عن حدود التعقّل ويفقدها ضبطها لنفسها؟

- كاتي...

بدا رنين اسمها وكأنه تعالى من مكان عميق خفي في داخل سين، فاستجابت له على الفور.

كاتي! لكنها لم تعد كاتي. إنها كيت... إنها كيت... وسين ليس الرجل الذي كان يحبها. إنه الرجل الذي خانها، الذي لم يصدّق أنه والد طفلها. وتملّكها الغثيان، كيف يمكنها أن تشعر بما شعرت به، وأن تتصرف كما تصرفت، بينما هي تعلم...؟.

وجمدت عندما انفتح باب المطبخ ورأت أوليفر واقفاً ينظر إليهما.

٥ ـ سيف الغيرة

كان سين أسرع منها، وذهلت وهي ترى نفسها تنظر إلى ابنها من خلف جسم سين الذي سترها. استعادت رباطة جأشها بعد أن التهب وجهها من الصدمة والشعور بالذنب، ثم تقدمت من ابنها لكنه بدا غافلاً عنها وهو يتجه إلى سين. حاولت مذعورة أن تمنعه، غير قادرة على احتمال الرفض الذي سيؤلم طفلها، لكنها ذهلت وهي ترى سين يتجه إليه لحمله ما إن رفع ابنها ذراعيه له.

شعر سين، وهو يحمل طفل كيت بين ذراعيه، بألم لم يعرف مثيلاً له من قبل، حتى عندما تركته أمه، وحتى عندما عرف أنه لا يستطيع الإنجاب، أو حتى عندما أبعد كيت عن حياته، كما أخذ يفكر وهو يقاوم تعاسته وعذابه.

مال الرأس الصغير إلى الخلف واشتبكت العينان الرزيتتان بعينيه فشعر سين وكأن شخصاً طعنه بسكين مسمومة بالشوق والغيرة واليأس. الشوق إلى أن يكون أوليفر ابنه، والغيرة لأن كيت منحت نفسها لرجل آخر، واليأس بسبب هذا الوضع الذي هو فيه الآن.

وفجأة، وضع أوليفر بين ذراعي كيت ثم اتجه إلى الباب.

عندما وصل إليه، وقف واستدار نحوها والظلال تخفي الألم في عينيه، ثم سألها: «متى وُلد؟».

شدّت ذراعيها حول أوليفر الذي نام على الفور ثم أخبرته بتاريخ الولادة.

بعد صمت قصير قال بصوت خشن: «إذن، فقد حملت به بعد أسبوعين من فراقنا!».

شعرت بجو المطبخ مشحوناً بمشاعرهما إلى حد كادت معه أن تختنق.

أجابته على اتهامه الضمني لها وهي تهز رأسها: «جاء متأخراً عن موعده أسبوعين، أرادوا أن يستعجلوا الولادة لكنني طلبت منهم أن ينتظروا. أردته... أردته أن يولد طبيعياً».

وأغمضت عينيها وابتعدت، لا تريد أن تتذكر كيف صمدت وتحمّلت حتى آخر لحظة، متشبثة بيأس وعناد بالأمل في حدوث معجزة وعودة سين ليشهد ولادة ابنهما. لكنه لم يأتِ، ولم تجد سوى موظفي المستشفى ليشاركوها سعادتها المرهقة بولادة ابنها.

عادت من الماضي عندما سمعت الباب ينغلق. لقد رحل سين. لكنه سبق ورحل عنها وعن أوليفر منذ وقت طويل... كما ذكّرت نفسها. هذه الذكرى ليست مريحة كما ينبغي لها أن تكون. كان ألمها أكثر حدة وأقوى من أن يُواسى بسهولة.

كان بإمكانها طبعاً، أن تتحدى سين بأن تطالبه بإجراء فحص الحمض النووي لأوليفر. ووضعت خدها على شعر أوليفر الجعد.

ولكن إثبات أن سين والد أوليفر لا يعني شيئاً إذا رفض سين أن يكون ذلك الأب. لن تعرّض أوليفر لهذا النوع من الألم، حتى لتثبت لسين أنها لم تخنه مع رجل آخر كما خانها هو مع امرأة أخرى!

لم يتغيّر الألم على الإطلاق، فقد بقي قوياً كحاله دوماً. أين كرامتها؟ ولماذا لم تنقذها هذه الكرامة من ضعفها بتذكيرها بما فعله سين؟ وكيف يجرؤ على طعنها بشرفها فيما اعترف صراحة بأنه خانها مع امرأة أخرى؟

كان أوليفر لا يزال نائماً بين ذراعيها، وهذا يعني أن بإمكانها أن تطلق

العنان لدموع الألم التي تحرق عينيها. سين لم يغدر بها هي وحسب، بل غدر بابنه أيضاً.

عبس سين عندما جرح نفسه أثناء الحلاقة، ووضع الموس من يده وأخذ يعالج الجرح وهو يتمتم مخاطباً صورته في المرآة بأن الذنب هو ذنبك اللعين. لكنه لم يكن يتحدث عن الجرح، كما لم يكن وجهه هو الذي يراه في المرآة، بل وجه أوليفر.

حاول أن ينبذ أفكاره شاتماً، لكن الأوان كان قد فات. لقد رأى في عيني كيت شعورها عندما رفض أن يصدق أن أوليفر ابنه، لأنه يعلم أن هذا مستحيل.

ولديه سبب وجيه لذلك. أغمض عينيه وازدرد ريقه شاعراً بالاشمئزاز من نفسه وبالمذلة. السبب الوجيه هو أنه لا يستطيع الإنجاب، وقد ثبت ذلك طبياً عندما تزوج كيت. لم يكن يعلم ذلك طبعاً، وإلا لما تزوجها إطلاقاً، لا سيّما أنه يعلم أهمية الأولاد بالنسبة إليها. وعاد يفكر في ذلك الموعد مع الطبيب الذي كان مسؤولاً عن تحطيم زواجه وحياته.

قال له الطبيب حينذاك: «أودّ أن أعلمك أنّ أحد الاختبارات التي نجريها هو فحص الحيوان المنوي، وأخبرك، مع الأسف، أنه من غير المحتمل أن تنجب أولاداً».

لا تزال الكوابيس تراوده حتى الآن من هذا الموضوع وعما قاله طبيبه.

لم يستطع أن يتقبل الأمر في البداية. كيف يكون عاجزاً عن الإنجاب، وهو الرجل المعافى الصحيح الجسم والذي ما زال في مقتبل العمر؟ احتجّ بأن الطبيب قد يكون مخطئاً ولاحظ نظرة الشفقة في عيني الطبيب الذي راح يهز رأسه. لعل الطبيب يكبره بعشرين عاماً، ولعله أصلع، قصير القامة، لكنه أصبح فجأة الرجل الحقيقي الكامل الرجولة،

فيما تحوّل إلى مجرد نصف رجل. على الأقل في نظر نفسه.

الرجال الحقيقيون في العالم القاسي الذي نشأ فيه سين، ليسوا عاجزين عن الإنجاب.

في أعماقه، لا يزال يحفظ كلمات سمعها من أمه وهي تحدّث صديقة لها عن رجل تعرفانه. حينذاك، قالت أمه إنه مسكين من كافة النواحي. فهو لم ينجب طفلاً بعد ومن غير المحتمل أن ينجب، وهذا يعني أنه ليس رجلاً على الإطلاق.

ليس رجلاً على الإطلاق. مثله تماماً. وتذكر كلاماً آخر... (آه، يا سين، لا أستطيع الصبر أكثر، أريد أن أنجب طفلاً).

إنه صوتها الآن. وشتم بعنف وبصوت خافت وهو يتذكر كلامها: (أنا أكره الأسرة من دون أولاد، كأسرة عمتي وزوجها). وما زال يتذكر كيف ارتجفت باشمئزاز.

كان يجيبها متباهياً، شاعراً بالإثارة مسبقاً لمجرد التفكير في الأولاد الذين يريدانهم: «لا تخافي. سأعطيك أولاداً بقدر ما تريدين».

كان زهو الذكر الذي يعلم أن لديه القدرة على أن يوجد فيها حياة جديدة. لكنه لم يكن يملك تلك القدرة، وفقاً لما قاله طبيبه.

لم تدمّر كلمات الطبيب حاضره ومستقبله وحسب، بل ثقته وإيمانه وزهوه بنفسه أيضاً. وفجأة، لم يعد ذلك الرجل الذي كان عليه. وفجأة، لم يعد رجلاً حقيقياً على الإطلاق.

حمله لأوليفر أعاد إلى ذهنه بقوة، كل ما لا يمكنه أن يحصل عليه.

ومع ذلك، لم يستطع أن يكره ذلك الطفل بل على العكس. وبدلاً من أن يكره الطفل الذي أعطاه رجل آخر للمرأة التي يحبها هو، وجد نفسه منجذباً إليه.

لو أن كيت تدري كم يتمنى أن يكون ذلك الطفل ابنه! وأن تكون هي زوجته!

بعد أن خانته مع رجل آخر؟ والتوى فمه بابتسامة مرة. لعل كيت ظنّت أن معايرته بخيانته سلاح قوي، بينما لم يكن الأمر سوى كذبة. علاقته المفترضة مع امرأة أخرى كانت كذبة لكي يسهّل إجراءات الطلاق ويعجّل بها وبالتالي يطلق سراح كيت.

وبما أنه عاملها بقسوة ليحررها منه فتتزوج رجلاً يمنحها الأولاد الذين تعشقهم، فمن غير المنطقي أن يساوره مثل هذا الشعور نحو ما فعلته.

أيّاً كان ذلك الرجل فهو أحمق بقدر ما هو نذل لأنه هجر كيت وابنه... ونبذ حب كيت.

شعر بألم فظيع وكأنه ضربات خنجر تمزّق قلبه.

* * *

قالت لورا تثرثر مع كيت: «الكل مدهوش لأن رئيسنا الجديد يمضي هنا كثيراً من وقته. أعني أن لديه شركتين أخريين. أتظنين أن بإمكاننا جميعاً أن ندع القلق من إمكانية صرف الفائض منا؟ أعني لو لم يكن مصمماً على إبقاء هذه الشركة لما خصص لها الكثير من وقته، أليس كذلك، يا كيت؟ هل ثمة ما يشغلك؟».

قالت الجملة الأخيرة عندما لم ترد كيت عليها فأجابت كيت: «آسفة، لم أنم جيداً الليلة الماضية».

وكان هذا صحيحاً على أيّ حال.

فقالت لورا تتأملها: «تبدين شاحبة قليلاً فعلاً».

شاحبة فقط! وعبست كيت في داخلها. شعرت وكأن مشاعرها تمزقت إرباً وألقيت في القمامة، ولم يبق منها سوى عظام.

هذه ليست دموع في عينيها بل أشبه بالرمل، كما أخذت تؤكد لنفسها بعنف. على أيّ حال، لقد بكت كثيراً أثناء الليل، دافنة وجهها في الوسادة كيلا توقظ أوليفر.

اعترفت لنفسها بأنها ما زالت مصدومة، وسبب هذه الصدمة هو اكتشافها أنها ما زالت ضعيفة حيال سين!.

- لا! أنظري إلى الوقت! يجب أن أذهب.

وأسرعت كيت خارجة.

خلف الصدمة والألم، كمن غضب عارم. كيف يجرؤ سين على ألا يصدّق أن أوليفر ابنه؟ كيف يجرؤ على أن يكون من النفاق بحيث يتهمها بأنها عرفت رجلاً آخر؟

تفكيرها في ابنها جعلها تلتفت إلى هاتفها الخلوي، بقلق. لقد عاد أوليفر يشكو من وجع بطنه على الفطور، لكن الارتياح تملّكها حين قاست حرارته فوجدتها طبيعية فأخذته إلى المدرسة.

أخذ سين ينقر بأصابعه على مكتبه، ثم وقف وهو يردّ شعره إلى الخلف. أخذ يذرع أرض مكتبه وهو يتدرب ذهنياً على ما ينوي أن يقوله لكيت.

أثناء اختياره الكلمات بعناية، توقف فجأة وهو يتساءل بغضب عما يجعله يفعل ذلك. كل ما عليه أن يقوله لكيت هو أنّ عليها تقبّل المبلغ الذي رفضته حينذاك. إذا اقتضى الأمر سيخبرها أن محاسبيه يصرّون على تسليمها المبلغ وإلا سيضطر لدفع غرامة لدائرة الضرائب. قراره هذا لا علاقة له بأوليفر لكنه يكره رؤية كيت تكافح... خاصة وأن لديها طفل عليها أن تعوله.

طفل ليس طفله هو.

فتح باب مكتبه وطلب من سكرتيرته أن تستدعي له كيت.

- اتصلت جين بي قائلة إنك تريد رؤيتي.

- هذا صحيح.

أجابها بذلك وهو يستدير لينظر من النافذة ثم أضاف: «لا بد أن دراستك لنيل الماجستير كانت متعبة بالنسبة إليك نظراً لضيق وقتك؟».

- نعم، كانت كذلك من بعض النواحي.

وتساءلت بحذر عن سبب استدعائه لها، وإلى ما سيؤدي هذا الحديث.

- أتصوّر أن ذلك كان صعباً بوجود أوليفر؟.

- هذا صحيح.

- لماذا لم تطلبي نفقة من أبيه؟

وعندما لم تجب استدار إليها وقد أظهر الضوء المتسلل من النافذة التوتر المرتسم على وجهه، وكاد الضعف يتغلب على كيت لحظة. كان سين كل شيء بالنسبة إليها، كما هي الآن بالنسبة إلى أوليفر. ذكّرت نفسها بذلك قبل أن تأخذ نفساً عميقاً وتسأله بحدة: «ما الذي تحاول أن تفعله؟ توقعني في الفخ؟ أنت تضيّع وقتك سدى، يا سين، فأنت والد أوليفر. ما من شيء أو من أحد، حتى أنت، يمكن أن يغيّر هذه الحقيقة».

شعرت بالغثيان عندما رأت ملامحه تقسو رفضاً.

- أنت من يضيّع وقته سدى يا كيت. أوليفر ليس ابني... هذا غير ممكن...

وأجفل ثم سكت، وأخذ نفساً عميقاً قائلاً: «لا يمكن أن أقبل بشيء زائف».

كان قلبه يخفق بسرعة لشدة تأثير كيت فيه ما جعله يوشك على أن ينطق بالحقيقة، من دون تفكير! لكنه، ولحسن الحظ، تفادى ذلك في الوقت المناسب!.

الوقت المناسب!.

شبكت كيت يديها وهي تلحظ العنف في صوت سين، وتحوّل ذعرها إلى ذهول وهي تسمعه يقول متجهماً: «ما كنت أريد أن أحدثك عنه هو...».

وسكت عندما رن هاتف كيت الخلوي. احمرّ وجهها وهي تخرجه من حقيبتها، وسرعان ما نسيت ارتباكها عندما أدركت أنّ الاتصال من مدرسة أوليفر. استمعت ثم قالت بقلق: «لقد تقيأ وهو يسأل عني؟ كان متوعكاً هذا الصباح لكن من دون حرارة...».

ورغم أنها حاولت أن تبتعد عن سين إلا أنها أدركت أنه سمع الحديث بينها وبين المعلمة. وشرعت تقول: «سوف... سوف أحاول أن...».

وإذا بسين يديرها لتواجهه، ويأخذ منها الهاتف عابساً ليقول: «إنها في طريقها إليك».

فقالت كيت بغضب: «لا يحق لك...».

لكن سين أنهى المحادثة وأمسك بذراعها وهو يدفعها نحو الباب، قائلاً: «سنذهب في سيارتي. أولاً، سنصل بشكل أسرع. وثانياً، لن يسمح لك القلق بالقيادة بشكل آمن».

فتحت فمها لتحتجّ لكنهما كانا قد وصلا إلى موقف السيارات واتجها إلى سيارة سين حيث فتح لها الباب فصعدت مكرهة. سألها وهو يجلس في مقعده وينطلق بالسيارة: «هل قالوا لك بالضبط ما به؟».

أرادت أن ترفض الكلام... فقد رفض أوليفر لتوّه، لكن لهفة الأم تغلبت على كرامتها وأخذت تكرر متوجسة ما قالوه لها: «يبدو أنه تقيأ. ثمة عدوى في المنطقة. قال لي هذا الصباح إن بطنه تؤلمه».

- هل أرسلته إلى المدرسة وأنت تعلمين أنه متوعّك؟

وسمعت صوته يعكس الإتهام وعدم التصديق، وأضاف: «لماذا لم تمكثي في البيت معه؟».

فقالت تدفاع عن نفسها غاضبة: «أنا مضطرة للعمل، هل نسيت؟ لا يمكنني أن آخذ عطلة بهذه السهولة».

- يمكنك ذلك طبعاً، فأنت أم، والناس يتفهمون ذلك.

فاعترفت وهي تدير رأسها إلى النافذة لتخفي ارتباكها: «لا أحد في العالم يعلم أني أم لطفل».

- أتشعرين بالخجل منه؟.

- لا...!.

أنكرت بعنف والتفتت تنظر إليه على الفور لتدرك أنه كان يتعمّد إثارتها، عالماً بما سيكون عليه رد فعلها.

- لماذا إذن؟.

- بالله عليك يا سين، ليس عليّ أن أخبرك عن أحوال الحياة العملية. بعض الشركات لا يرضى بتوظيف المرأة الأم، خصوصاً إذا كنّ أمهات من دون أزواج. كنت بحاجة إلى هذه الوظيفة. لم أذكر أوليفر في أول موعد عمل لي، وبعد أن حصلت على الوظيفة اكتشفت أن جون يرفض توظيف الامهات اللواتي لديهن أطفال.

- هذا ممنوع قانوناً. وأوليفر بحاجة إليك! تباً يا كيت، نحن نفهم معنى أن ينشأ الطفل من دون أم.

- أوليفر لديه أم.

- لكنها ليست الأم الموجودة بجانبه عندما يحتاجها.

لم تستطع كيت أن تستمّر في إخفاء الألم الذي اكتسحها، وغزا أعصابها ومزّق قلبها: «ما دمت ترفض الاعتراف بأوليفر ابناً لك، فلا

يمكنك أن تعلّمني كيف أربيه».

كان هذا تحدياً مرّاً. ولم تدرك أنهما وصلا إلى القرية إلا بعد أن استطاعت ابتلاع دموع الغضب.

ما إن أوقف سين السيارة أمام المدرسة، حتى أمسكت بمقبض باب السيارة وقالت له بجفاء من فوق كتفها: «شكراً لتوصيلك لي».

لكنها ذعرت وهي تراه ينزل ويدور حول السيارة ليفتح لها الباب، قائلاً: «سأدخل معك».

- لا أريدك معي.

- لعل أوليفر يحتاج إلى طبيب فآخذك إليه.

طبيب؟ وأسرعت كيت بقلق نحو الحضانة وقد فاق اهتمامها بابنها اهتمامها بمجادلة سين.

وما إن دفعت باب الحضانة، حتى أسرعت المعلمة إليها، فبادرتها كيت بذعر عندما لم تجد ابنها بين التلامذة: «أين أوليفر؟ كيف حاله؟».

- إنه بخير، لكنه نائم.

- نائم، ولكن...

قاطعها سين بحدة موجّهاً سؤاله إلى المعلمة: «هل رآه الطبيب؟».

أغاظ كيت أن ترى السرعة التي ردت بها المعلمة على لهجة سين المسيطرة: «أنا ممرضة مؤهلة ولا أظن أنّ ثمة أمر خطر. شعر أوليفر بوعكة قبل الغداء، ثم تقيأ بعد ذلك. يبدو بخير الآن... لكنه متعب قليلاً».

والتفتت إلى كيت لتقول بشيء من اللوم: «يبدو أنه مستاء من شيء ما، وأظن أن هذا هو سبب المشكلة. غالباً ما يكون رد فعل الأطفال على الضغط النفسي، جسدياً».

احمرّ وجه كيت وهي تسمع في صوت المرأة رنة انتقاد واضحة. فقالت بهدوء من دون أن تلاحظ الطريقة التي كان سين يراقب فيها رد فعلها على ملاحظات المرأة: «سأدخل لآخذ أوليفر إلى البيت».

كان الطفل نائماً في أحد الأسرّة الموجودة في غرفة بجانب غرفة اللعب. وشعرت كيت بمشاعرها تجيش عندما انحنت فوقه. كان يشبه أباه من نواحٍ كثيرة، حتى وإن رفض سين الاعتراف به ابناً له. وانحنت متعبة لتحمله.

- سأحمله أنا.

استدارت ولم تكن قد لاحظت أن سين تبعها إلى الغرفة، وقالت له بصوت خافت متزمت: «لا حاجة لذلك».

وركزّت بصرها على كتف سين وليس على وجهه، وهي تفكر كم يؤلمها أن تضطر إلى كبح شوقها إلى إراحة رأسها على كتفه المواسية، لتشعر بذراعه حولها وتسمع صوته يقول لها إنه يصدقها وإنه يحبها وسيأخذهما، هي وأوليفر، إلى بيته معه.

عندما أخذت تحدّق إلى كتفه، عاودها فجأة ذاك الشعور المدمّر بالخوف والوحدة. أحسّت بصداع وألم في حلقها، وغثيان في معدتها.

مشهد سين وهو يحمل ابنه النائم بين ذراعيه جعلها تشعر وكأن قلبها يتحطم.

أمرت نفسها بحزم بالتمالك فلا وقت لديها لمثل هذه المشاعر.

وعندما أصبحا خارج الحضانة، وقفت كيت وقالت له: «أعطني أوليفر، يمكنني أن أحمله إلى البيت».

فقال بخشونة: «تحملينه؟ تبدين وكأنك لا تستطيعين حمل نفسك. سأحمله أنا».

كانا قد وصلا إلى الكوخ لتوّهما عندما استيقظ أوليفر وأخذ يتململ بين ذراعي سين.

فتحت كيت الباب ووقفت عند العتبة ثم مدّت يديها لابنها، لكن خيبة الأمل تملكتها عندما أشاح بوجهه عنها، دافناً رأسه في صدر سين، ثم عاد لينام.

شعرت ببرودة الثلج في قلبها. إنها المرة الأولى التي يرفضها فيها ابنها مفضلاً عليها شخصاً آخر... ليس أيّ شخص آخر بل سين، والده.

قالت لسين بحدة: «من الأفضل أن تعطني ابني. أنا واثقة من أن آخر ما تريده هو أن يتقيأ على بذلتك».

عندما ناولها إياه ومددته برفق على أريكة المطبخ سمعته يقول بهدوء: «لا، في الحقيقة آخر ما أريده هو أن أدرك أنك ذهبت إلى سرير رجل آخر حالما تركت سريري!».

تصلّب جسد كيت على الفور: «لا يحق لك أن تقول هذا».

فأجابها بعناد: «أتظنينني لا أدرك هذا؟ لا تظني أنني تخليت عن حقوقي كلها بالنسبة إليك».

- حقوقك كلها؟

وتساءلت بذعر عمّا جعله ينطق بهذه الكلمات الطائشة الخطرة بمثل هذا الصوت الرقيق المتحدي. وكأنما تلك الحماقة ليست كافية، فوجدت نفسها مدفوعة إلى أن تسمّر نظرها على وجهه، فيما أخذ جسدها يذكّرها بما كان بينهما في الماضي، وكم مضى عليهما منذ...

- بالله عليك يا كيت، هل لك أن تكفّي عن النظر إليّ بهذا الشكل؟.

- لا أفهم ما تعنيه!.

تقدم إليها على الفور ملتهب العينين ما بعث في كيانها إثارة خطرة:

«كاذبة! أنت تعرفين تماماً ما أعنيه. كنت تنظرين إليّ بشوق ولهفة».

ما الذي يفعله؟ تحدى سين نفسه في سرّه. كل ما يريده هو أن يمنح كيت مساعدة مالية هي بأمس الحاجة إليها. هذا كل ما في الأمر. لا شيء آخر، على الإطلاق.

ومع ذلك، وبعد ثوانٍ من قول هذا لنفسه، سألها بلطف: «هل هذا ما تريدينه، يا كيت؟ فإذا كان هذا...».

كان لنبرة صوته تأثير مخيف عليها... وعلى حواسها. أغمضت عينيها وإذا بها تدرك أنها أخطأت بعد أن عاودتها على الفور صور من الماضي.

سين نائم في سريرهما، وشمس الصباح على وجهه الأسمر وعيناه تلمعان. وسرعان ما تحولت تلك النظرة الهادئة إلى نار ولهفة عندما مدّت يدها تلمسه، مداعبة شعره الأسود.

وقبل أن تدرك ما تفكر فيه، شعرت بأصابعها تنقبض وتنبسط. وحالما أدركت ما تفعل، وبماذا تشعر، دست يديها واء ظهرها وقد التهب وجهها حرارة لشعورها بالذنب.

قالت غاضبة من شعورها هذا، ومن سين المتسبب فيه: «لا، لا أريد هذا. ولماذا أريده من شخص فعل معي ما فعلته؟ شخص حطّم عهود زواجه وخانني مع امرأة أخرى؟ كيف يمكن أن أرغب فيك، يا سين؟».

فأسكتها بشكل محموم: «أنت تدركين أن بإمكاني أن أوجّه إليك التهمة نفسها أليس كذلك؟ كيف تتصورين شعوري عندما اكتشفت أنك لم تنتظري شهراً واحداً قبل أن تقفزي إلى سرير شخص آخر؟ لماذا فعلت هذا يا كيت؟ هل هي الوحدة أمّ الحقد؟».

- لم أفعل شيئاً كهذا.

أنكرت هذا وهي ترتجف، وقد أصابت كلماته جرحاً في قلبها ظنته

شفي تماماً. لكن، وكما اكتشفت حديثاً، كان الجرح لا يزال ينزف. وعاد الجرح يعذبها مرة أخرى.

شحب وجهها، لكن وقبل أن تستطيع أن تتكلم، استدار سين متجهاً إلى الباب وهو يقول: «لا تعودي إلى العمل غداً. وإذا لم يتحسّن أوليفر حتى يوم الاثنين فأخبريني. هذا أمر. سأتدبر أمر إرسال سيارتك إليك».

www.elromancia.com

٦ - لن أعيش معك

قالت كارول لكيت وهي تنظر إلى وجهها الشاحب: «حسناً، لقد نجا أوليفر من ذلك الوباء المنتشر، ولكن يبدو عليك أنك لم تكوني محظوظة مثله».

- أمضيت ليلة سيئة.

كانت كيت قد التقت بصديقتها وهي توصل أوليفر إلى المدرسة، فسار الطفلان معاً فيما تبعتهما كيت وكارول.

سمعت كيت جورج يقول متفاخراً: «بابا يمكنه أن يفعل أي شيء».

فقال أوليفر بصوت رنان: «ويمكن لسين أن يفعل كل شيء في العالم».

- يا للأولاد!

وضحكت كارول وهي تقول ذلك، ونظرت بأسف إلى كيت التي عضّت شفتها، شاعرة بالتعاسة لنظرة العطف والتفهم التي ألقتها كارول عليها.

- يبدو أن سين ناجح مع أوليفر.

قالت هذا بمرح لكن كيت تكهنت بما تفكر فيه، فازداد الألم في فؤادها. وأجفلت، ما جعل كارول تهتف باهتمام: «أنت متوعكة حقاً، يا كيت. يجب أن تكوني في السرير! سآخذ أوليفر إلى المدرسة ثم أحضره مساءً».

- لا أستطيع، عليّ أن أذهب إلى العمل. لم أذهب يوم الجمعة ولا يمكنني أن أتأخر أكثر.

- كيت، لا يمكنك أبداً أن تذهبي إلى العمل. شكلك مخيف. أنظري إلى نفسك، أنت ترتجفين. وباء الأنفلونزا هذا مزعج للغاية إذا ما أصبت به.

فقالت كيت بجفاء: «شكراً. على أيّ حال، أنا بخير».

لكنها رأت في وجه كارول أنها أدركت أنها تكذب.

وعلى عكس أوليفر الذي تعافى في ساعتين من وجع بطنه، أخذت صحتها تتراجع، منذ تقيأت صباح الأمس. كانت تشعر وكأن مطرقة تضرب في رأسها، وبقيت تتقيأ طوال الليل، كما أحسّت بالألم في كل عظام جسدها. شعرت وكأنها أصيبت بالأنفلونزا وبالتسمم في الوقت نفسه.

ازداد صداعها الآن، وعندما أغمضت عينيها انتابتها موجة من الغثيان والدوار.

سمعت صوت كارول الحازم يقول من خلال تعاستها: «لا يمكن أن تذهبي إلى العمل. كيف ستتمكنين من الذهاب؟ من المستحيل أن تتمكني من قيادة السيارة. حالما أوصل الولدين إلى المدرسة سأعود إليك وأطمئن عليك».

موجة أخرى من الغثيان أثبتت كلام كارول، فسلمتها أوليفر ثم عادت بسرعة إلى بيتها. لم تكن تعلم أيهما أسوأ، الصداع الرهيب الذي يجعلها تريد أن تزحف إلى مكان مظلم لتموت فيه، أم علمها بأنها إذا لم تصل إلى بيتها بسرعة فقد تتقيأ في الطريق أمام الناس.

عادت كارول بعد نصف ساعة فلم تكد كيت تشعر بدخولها من الباب الخلفي.

- الحمد لله على تعقلك. كنت لأبقى معك لولا أنني وعدت أمي بأن آخذها إلى المستشفى لإجراء فحص.

هتفت كارول بذلك بارتياح حين وجدتها ملتفة بالغطاء في سريرها، فقالت كيت: «سأكون بخير، كل ما أحتاجه هو أن أشفى من هذا الصداع».

- حسناً، إذا كنت واثقة...

- أنا واثقة.

ولم تنتبه كيت إلا بعد رحيل صديقتها أنه كان عليها أن تطلب منها أن تتصل بالمكتب لتشرح لهم ما حدث.

فمجرد التفكير في الاتصال كان يرهقها... كما أنها تشعر بأنها ستقيأ مرة أخرى.

عبس سين وهو يجيل نظراته في أنحاء مكتب كيت الخالي. لماذا لم تحضر؟ أترى أوليفر أشد مرضاً مما ظنه الجميع؟.

كانت مسؤولية مكتب شؤون الموظفين أن يحقق في سبب عدم حضور كيت إلى العمل وليست مسؤوليته هو، كما ذكّر نفسه عابساً. إنه مجرد رئيسها الآن، ليس إلاّ.

والتوت عضلة في فكّه، من تراه يخدع؟ كان من المفترض أن يغادر هذه الشركة اليوم لحضور اجتماع هام، على ألاّ يعود قبل الأسبوع القادم.

إذا ما دُهشت الموظفة في قسم شؤون الموظفين عندما طلب رقم هاتف بيت كيت، فهي لم تظهر ذلك.

وفي مكتبه، أخذ يتصل بالرقم، وازداد عبوساً عندما لم يجب أحد.

بين اليقظة والإغفاء في نومها المحموم، كانت كيت تسمع، بشكل

غامض، صوت رنين الهاتف، لكنها كانت من التعب بحيث لم تستطع النهوض للرد عليه.

انتظر سين حتى سمع المجيب الآلي يقطع المخابرة فوضع السماعة. أين هي يا ترى؟ أخذت التصورات المزعجة تعذّب مخيلته. كيت جالسة في صالة الانتظار في المستشفى بينما الممرضات يأخذن الصبي الصغير المريض بعيداً... شعوره بالأسى والقلق امتزج بالحاجة إلى أن يكون موجوداً معها فتخلّى عن حذره.

وأخذ يقنع نفسه بأنه كان سيشعر بالاهتمام نفسه بأي ولد صغير آخر. فأوليفر من دون أب كما كان هو نفسه، وهو يعرف ما يعني هذا وكم يؤلم.

اتصال هاتفي مختصر إلى المكتب الرئيسي كان كافياً لإرجاء الاجتماع. كيف يمكنه أن يرأس اجتماعاً فيما أوليفر مريض؟.

واصل عمله قدر إمكانه، مخففاً قلقه باجراء إتصالات عدة ناجحة. لكن عندما حلّ بعد الظهر، ألقى من يده الصحيفة التي يفترض به أن يقرأها، وتناول سترته.

عندما وصل سين إلى بيت كيت، وجد الباب الخلفي مفتوحاً. وعندما رأى الارتياح يرتسم على وجهين من الوجوه الثلاثة، التي التفتت إليه، فهم القصة، أو جزءً منها على الأقل.

- سين!.

- الحمد لله!.

وعندما ركض أوليفر نحوه، انحنى سين بحركة آلية وحمله.

قال أوليفر: «أمي مريضة جداً».

فزاد سين من احتضانه.

قالت كارول بسرعة: «حالة كيت ليست جيدة على الإطلاق. في الواقع، عندما جئت مع أوليفر بعد المدرسة أصبت بالقلق بحيث استدعيت الطبيب».

نظر سين إلى رجل متعب المظهر في منتصف العمر.

- يبدو أن كيت التقطت جرثومة هذا الوباء المنتشر. إنها تعاني من جفاف وضعف بالغ ولا يمكنها العناية بنفسها حالياً، أو بطفلها. إنها بحاجة إلى شخص يبقى معها ويحرص على أن يعطيها الكثير من السوائل ويعتني بها بشكل عام.

ونظر إلى كارول نظرة ذات معنى فعضّت هذه على شفتها وقالت بضيق: «عادة، يسعدني جداً أن يبقى أوليفر معي، ولكن...».

فقال سين بحزم: «هذا ليس ضرورياً، سأمكث أنا مع كيت وأعتني بها وبأوليفر. أنا زوجها السابق».

قال جملته الأخيرة عندما رأى أنّ الطبيب بدأ يعبس.

قال له الطبيب بحدّة: «عليّ أن أُنبهك إلى أنها نصف واعية، ومصابة بالهذيان ومشوشة الذهن. لكن هذا سينتهي. إن حرارتها مرتفعة وتشعر بتقلّص في المعدة. لقد أعطيتها دواءً سيجعلها تتحسّن خلال اثنتي عشرة ساعة. لكن الشفاء الحقيقي سيستغرق وقتاً أطول بكثير».

فقاطعه سين غاضباً: «ولماذا لا تدخلها إلى المستشفى؟».

- لأسباب عديدة. أولاً، أشك في أن أجد لها سريراً، وثانياً، لديها طفل وهذا سيزعجه جداً. ثالثاً، رغم أنها مريضة جداً إلا أن حالتها ليست خطرة. أقدّر أن رعايتها لن تكون سهلة. إذا غيّرت رأيك فأخبرني الآن لأجد أحد بيوت رعاية الأطفال المؤقتة فأضع فيه الطفل، وأطلب من ممرضة الحيّ أن تزورها يومياً وتتفقدها من وقت لآخر عندما تأتي لتفقُّد مرضاي.

- بيت رعاية أطفال مؤقت؟ أوليفر ليس بحاجة إلى ذلك كما أن كيت ليست بحاجة إلى ممرضة الحيّ، فأنا هنا من أجلهما.

حاول الطبيب ألاّ يظهر ارتياحه. هذا الوباء حمّل الجهاز الطبي في المنطقة ما بفوق طاقته.

- حسناً جداً. الآن، هذا ما عليك أن تفعله.

أصغى سين عابساً إلى الطبيب وهو يعطيه إرشاداته فيما أوليفر بين ذراعيه. وعندما خرج الطبيب رفع الطفل عينيه إلى سين وقال بقلق: «متى ستُشفى أمي؟».

فقال له سين بهدوء لا يشعر به: «قريباً جداً».

بعد ذلك بعشر دقائق، وفيما وقف بجانب السرير ينظر إليها وهي تبدو جامدة بشكل مخيف، قلّ إيمانه بذلك. كانت يدها اليُسرى ملقاة على غطاء السرير وأصابعها خالية من الخواتم وأظافرها غير مطلية. إن يديها جميلتان للغاية ومعصميها رقيقان. كان هذا أول ما لاحظه فيها. وبدا له أن معصمها أرق مما يتذكر.

تململت فجأة وقلبت يدها فبدت له عروق معصمها الزرقاء من خلال جلدها الرقيق. وظهرت على جبهتها قطرات من العرق، ثم تأوهت فجأة وأخذت ترتجف بعنف. فتحت عينيها لتسعا باضطراب وحيرة وهي تراه، فطمأنها قائلاً: «لا بأس يا كيت».

طمأنها وهو يعلم أنه لا يستطيع أن يُطمئن نفسه، إذ شعر بدقات قلبه ثقيلة متكدرة.

قالت بكآبة: «رأسي يؤلمني».

- لماذا لا تجلسين وتشربين بعض هذا الماء؟ خذي هذه الحبوب التي تركها الطبيب لك فتخفض حرارتك وتساعدك على الشفاء.

حاولت أن تطيعه لكنه لاحظ أن أقل حركة منها ترهقها فجلس بجانبها على السرير ووضع ذراعه حولها يسندها ثم أخذ يسّوي الوسائد خلفها.

كانت تلبس قميص نوم قطنياً بدا مبللاً بالعرق. عادت ترتجف بعنف أخذت معه أسنانها تصطك. تألم سين وهو يرى الصعوبة التي ابتلعت بها جرعة ماء.

همست وهي تبعد عنها الكأس: «حلقي يؤلمني. كل شيء يؤلمني».

وضع يده على جبينها فقالت بهدوء: «هذا حسن، يدك باردة».

وابتلع المشاعر التي أثارتها كلماتها وحرارة جسدها في نفسه.

قالت شاكية: «أشعر بحرّ شديد».

- التقطت عدوى سيئة للغاية.

- لا أريد أن أبعدك عن عملك يا سين، خاصة أنّ عليك أن تنهي عقدك مع أندرسن.

كانت عيناها مغمضتين عندما أرقدها على الوسائد، فأخذ ينظر إليها مقطباً. عقد أندرسن الذي تحدثت عنه هو عقد عمل عليه في أيام زواجهما الأولى. كانت الآن مبللة بالعرق، ساخنة جداً وترتجف في الوقت نفسه.

كانت زوجته وحبيبته ذات يوم، وأسرار جسدها مكشوفة له تماماً. لِمَ لا وقد سبق ومنحته نفسها كلياً عندما علّمها كيف تكتشف قوة مشاعرها الأنثوية؟.

راح يمسح جبينها وهو يجيبها عن أسئلتها غير المترابطة عندما استيقظت لفترة قصيرة.

- سين؟.

جمد مكانه وهو يراها استيقظت مرة أخرى وأجاب: «نعم؟».

- أنا أحبك كثيراً جداً.

وابتسمت له بعذوبة قبل أن تغمض عينيها وتستغرق في النوم من جديد.

كلماتها هذه جعلته يشعر بألم هائل في صدره وحريق في عينيه وكأنما قُطر فيهما عصير الليمون.

كانت الثانية صباحاً وهو مرهق للغاية. بدا أن حرارة كيت انخفضت قليلاً ما جعله يشعر بالارتياح، كما كان أوليفر مستغرقاً في النوم في سريره، غير واعٍ إلى فيض المشاعر التي تملّكته عندما شرح له برزانة نظام نومه.

تثاءب ودسّ أصابعه في شعره. كانت كيت نائمة ومع ذلك كره أن يتركها.

دخل الحمام ليستحم. كان يوماً شاقاً وشعر بعينيه متعبتين. نظر إلى النصف الخالي من السرير. أيّ ضرر في أن يستلقي فيه ويظفر بدقائق عدة من النوم؟.

كانت كيت تشعر باليأس والحزن. تملّكها إحساس كئيب بالخسارة، ممزوجاً بالذعر وعدم التصديق. في حلمها المشوّش بالحمّى، ركضت على ساقين ثقيلتين من غرفة إلى غرفة في بيت خالٍ معتم، تبحث عن سين بهياج شديد، وقلبها منقبض خوفاً.

لقد هجرها سين وهي لا تستطيع احتمال ألم خسارته. لا تحتمل التفكير في العيش من دونه. شعرت بالحرمان والهجران والوحدة التامة.

الألم في حلمها كان لا يطاق، وجاهدت لتهرب منه. حاولت أن تستيقظ من النوم ففعلت وهي تصرخ عالياً باسم سين.

استيقظ سين ما إن سمع كيت تصرخ.

- سين؟.

سمع الذعر في صوتها وهي تكرر اسمه. وحتى في الظلمة الخفيفة استطاع أن يرى جسدها يرتجف.

- لا بأس عليك، يا كيت.

وضع يده على ذراعها ومال عليها يطمئنها.

شعرت بنفسها ترتجف لعنف المشاعر التي اكتسحت كيانها المضطرّب، وعندما استطاعت أن تفتح عينيها، تنفست بارتياح. رأت سين قربها! سين هنا، لم يهجرها. كل ما حدث كان مجرد حلم مزعج!.

ورغم ارتياحها، وفي مكان ما من ذهنها الواعي، ثمة شيء لا ينفّك ينبهها... شيء لا تريد أن تعرفه، فراحت تدفعه عنها لتحمي نفسها، وهربت منه إلى الارتياح الذي يوفره وجود سين. لكنها بحاجة إلى أكثر من مجرد وجوده لكي تتبدد ظلال هذا الحلم السوداء.

توجهت نحوه غريزياً تريد أن تزداد اقتراباً منه. ورغم تشوّش ذهنها الذي لم يكن يعمل جيداً، كانت حواسها حادة مرهفة وراح جسدها يرتجف وهي تتنشق رائحته العطرة الدافئة.

أرادت أن يحتضنها سين فتوسّلت إليه بصوت منخفض غير ثابت وهي ترتجف: «عانقني، يا سين. حلمت بأنك لست هنا... الأمور تبدو مشوّشة للغاية. لا أراني أفكر بشكل صحيح».

فقال بهدوء، مستعملاً صيغة الماضي كيلا يخيفها: «لقد التقطت جرثومة وكانت حرارتك عالية».

- أظنني كنت أعاني من اضطراب في الذهن ومن الهلوسة.

وحاولت أن تضحك، لكن ابتسامتها تلاشت وأخذت ترتجف بعنف ثم أضافت: «كنت خائفة جداً يا سين. حلمت أنني أبحث عنك في بيت

فلا أجدك».

اغرورقت عيناها بالدموع فأصغى إليها سين بعجز، فيما الحرارة تحرق وجهها وتتألق في عينيها. اقتربت منه قليلاً فأخذ يبتعد عنها. لكنها كانت أسرع منه، فاندسّت فيه تحتضنه.

نظر إليها باكتئاب شاعراً بغصّة في حلقه، واعياً بحدة إلى أنه ما كان لهذا أن يحدث. فدوره يقتصر الآن على التمريض والحراسة فقط. لكن كيف له أن يشرح هذا لها وهي في هذه الحالة، محمومة ومضطربة؟ هل ستفهم ما سيقوله لها؟ إنه يشك في ذلك. وشعر بها تتحرك، ورأى أن تردده الخفيف جعلها تركّز اهتمامها عليه، متفحصة وجهه.

قالت وهي تمسك بكتفه: « سين؟».

وقبل أن يستطيع منعها، ازدادت اقتراباً منه ثم دسّت وجهها في صدره متلهفة إلى الشعور بالأمان بجانبه. مجرد تنشقها لرائحته المألوفة، جعلها تطمئن وتهدأ على الفور. تهدأ؟ قربها من سين جعلها تهدأ. وابتسمت لنفسها داخلياً. لم يكن الهدوء هو ما تشعر به حالياً، فقلبها يخفق وجسمها يتملّكه الوهن، أو ربما الضعف. كانت ضعيفة حقاً لكنها تشعر بوجود سين بشكل حاد أيضاً، وقد زاد من شوقها هذا القرب منه وحاجتها العاطفية إليه.

بدا وكأن حلمها جعلها من الضعف بحيث أنّ قرب سين وحده يمكنه أن يشفيها، كما أخذت تفكر بغموض. نبذت أفكارها وهي تندس في صدره الدافىء ببهجة. وبينما كان سين يجاهد ليجد حلاً لمشكلته، حركت رأسها ووضعته على صدره مستمتعة بهذا الاسترخاء والقرب.

تسارعت خفقات قلبه وأجفل كرد فعل على ما يجري. فهو لم يتصوّر ولو للحظة، أن يحدث هذا بينهما.

صار عليه أن يكافح الرغبة التي أثارتها كيت فيه. لن يسمح لنفسه

حتى بالاعتراف بتأثيرها فيه. وإذا لم يضع حداً لما يحدث، فقد يفقد قدرته على التحكم بنفسه ويتهوّر ويأخذ ما ليس له حق فيه. لن ترضى كيت بهذا لو كانت في صحتها الكاملة.

مدّ يده يمسك بذراعيها بحزم ليبعدها عنه ويعيدها إلى مكانها في السرير، لكن ما إن حاول أن ينقلها حتى تأوهت وتشبثت به.

إنه بحاجة إلى أكثر من مجرد التحكم في النفس ليحتمل هذا. وغص بريقه. عليه أن يضع حداً لهذا!

- كيت.

- هممم...

صوت في داخله ذكّره بعنف ومرارة بأن كيت مريضة، وأنها لا تدرك حقاً ما يحدث، وأنها إذا عانقته فهذا لا يعني أن عليه أن يتركها تفعل.

وعندما ابتعد عنها، نظرت إليه مرتبكة مشوشة الذهن.

عليه أن ينهي هذا، وفي هذه اللحظة بالذات.

لكن النظرة التي بدت في عيني كيت جعلته يرغب في أن يأخذها بين ذراعيه ويبقيها هناك حتى تختفي النظرة.

أخذت كيت تنظر إليه، وقد دار رأسها. بعد أن تسمّرت نظراته بعجز على وجهها أرادت أن تشعر بما هو أكثر من نظراته. وتملّكتها رجفة حادة جعلتها تشهق وتزفر بسرعة. وعندما رآها كذلك وأدرك ما تشعر به، ومن دون أن يدري ما يحدث، شدّها إلى ما بين ذراعيه.

شعرت بين ذراعيه بالإلفة البالغة والشوق الطويل، فيما أحس هو أنه بحاجة إلى أكثر من ضبط النفس ليتمكن من الصبر. ربّاه، ما كان له أن يسمح بما يحصل. عليه أن يضع بينهما الحواجز التي لم تستطع كيت أن تضعها. عليه أن يضع حداً لما يحدث، بدلاً من أن يشعر بأنه سيموت إذا

لم يحتضنها.

لكن ما يحدث بينهما بدا طبيعياً وصواباً. ومضت لحظات، سمح فيها لنفسه بأن يتجاهل الحقيقة ويستسلم لحبه.

- سين.

همست باسمه حالمة وهي تلمس وجهه. لكنها نامت قبل أن تضيف أيّ كلمة أخرى.

انتظر حتى تأكد من نومها العميق، فابتعد عنها. لم يفهم كيف سمح للأمور أن تخرج من يده. ولماذا لم يتوقف؟ لماذا ومتى سمح بأن تخرج مشاعره عن السيطرة بحيث يستسلم لها؟ وشعر فجأة باشمئزاز بالغ من نفسه.

بالرغم من حياة سين الحافلة بالأذى والصدمات في صغره، إلاّ أنه كان في أعماقه رجل قديم الطراز. كان هذا جزءاً أساسياً من نظرته إلى نفسه، كرجل يحمي المرأة التي يحب، من كل شيء وكل شخص، حتى من نفسه إذا اقتضى الأمر، أليس كذلك؟ هذا ما دفعه لأن يطلّق كيت إذ أراد أن يمنحها الحرية لكي تتزوج رجلاً آخر يمنحها الأولاد الذين لا يستطيع أن يمنحها إياهم؟.

ذلك الجانب من شخصيته كان ذا أهمية بالغة لديه، إذ يعزز إحساسه بشخصيته وزهوه بنفسه. ولكن كيف يمكنه أن يزهو بنفسه بعد الآن؟ ومع تعاظم غضبه من نفسه أخذ يذرع غرفة كيت ذهاباً ومجيئاً، رافضاً أن يهرب من شعوره بالحقارة.

جمد وهو يسمع صوتاً يتعالى من السرير. كان نشيجاً تبعه كلمات غير مفهومة... فسار إلى جانب كيت.

بدا واضحاً أن الحرارة عادت ترتفع. وعندما أيقظها ليعطيها الدواء، ويسقيها بعض الماء، رمته بنظرة فارغة جامدة جعلته يشتبه في أنها لم

تعرفه...

ستكره أن تعلم أنها تعلقت به طالبة الوصال. لكنه شكّ في أن تتذكر، في ما بعد، ما حدث أثناء ارتفاع حرارتها. ولعلها لا تريد أن تتذكر.

لكن، عندما عاد يمدّدها على السرير بعد أن مسح جلدها الساخن بالماء، اعترف بأنه سيتذكر دوماً ما حدث. سيختزنه في ذاكرته كما سبق واختزن الكثير من الذكريات عنها.

حوّل نظراته بعيداً باكتئاب. الألم الذي لم يفارقه قط، كان يمزقه. مجرد وجوده في هذا البيت الصغير عزز هذا الألم إلى حد لا يُطاق. في هذا البيت المرأة التي أحبها وسيحبها على الدوام، والطفل الذي كان مستعداً لأن يدفع حياته لكي يتمكن من إنجابه. لم يكن لدى كيت فكرة عمّا فعلت به عندما أصرّت على أن أوليفر ابنه.

شعرت كيت بدفء أشعة الشمس على جفنيّها المغمضين. جاهدت بضعف لكي تفهم الشعور بالذعر الذي انتابها بسبب ذلك الدفء. وتصلّب جسمها عندما أدركت أن أشعة الشمس لا تدخل غرفتها إلا بعد الظهر.

عندما فتحت عينيها، حاولت أن تجلس في الفراش، لكنها انهارت على الوسائد إذ لم يستطع جسمها الذي أوهنه المرض أن يعينها. سرى في كيانها الفزع والذهول وزاد من خوفها الهدوء الذي يسود في المنزل.

أين أوليفر ولماذا هي هنا في السرير؟ عليها أن تنهض وتبحث عن ابنها. دفعت عنها الأغطية وهي ترتجف، وقطّبت جبينها بحيرة حين رأت قميص النوم الأخضر القطني الذي ترتديه.

تحسّست غريزياً قماش القميص الغالي الثمن. ذات يوم، منذ زمن طويل، كانت تقتني مثل هذه الأغراض. وهذا لا يعني أنها كانت تكثر من لبسها. وتغيرت ملامحها. وتملّكتها قشعريرة وهي تتذكر، بغموض

وذاكرة مشوّشة، صوراً ضبابية لها ولسين معاً... كانت هذه الصور كالموج على صفحة المياة بحيث لم تستطع القبض عليها.

كان قلبها يخفق سريعاً وشعرت بدوار. وقفت بصعوبة على الأرض وصدمت وهي ترى أنّ ساقيها تكادان لا تستطيعان حملها وأن عليها أن تتمسك بجانب السرير.

وفيما هي تجاهد لكي تحافظ على توازنها، انفتح باب غرفتها، لكن شعورها بالارتياح تلاشى ليتملّكها الذعر والغضب وهي ترى سين يتوجه نحوها، فتراجعت على الفور إلى السرير فيما وقف هو جامداً مكانه.

وبذهول، أخذت تسترجع صوراً علّبتها وذكريات غير مترابطة لكنها واضحة إلى درجة مخيفة، عنها وعن سين كعاشقين، وهي تتوسل إليه أن يعانقها.

تملّكها الغثيان والألم، ولم تستطع أن تنظر إليه، فيما تسارع نبضها، وازداد ضعفها وألم رأسها مع كل ثانية تمرّ.

سألته: «أين أوليفر؟ وماذا تفعل هنا؟».

- أوليفر في المدرسة، وأنا هنا لأنكما بحاجة إلى رعاية.

- رعاية؟ هل كنت ترعاني؟.

لم تستطع أن تمنع نفسها من الصراخ بعصبية: «ولماذا أنت بالذات؟».

- ولِمَ لا؟ لقد كنت هنا. وأنا زوجك السابق.

- زوجي السابق؟.

- لم يكن هناك سواي يا كيت. أرادت صديقتك كارول أن تساعد، لكن لديها زوج وابن. وتساءلت أنا إن كان المستشفى...

- المستشفى؟.

وتملّكها الرعب.

قال وهو يتوجه نحوها: «الجرثومة التي التقطتها مؤذية للغاية. اسمعي، لماذا لا تعودين إلى سريرك؟».

وعندما رأت أنه يريد أن يحملها، هتفت بذعر: «لا! لا تلمسني».

النظرة التي رمقها بها جعلتها تتورد. مجرد رؤيتها له يقف قريباً منها بهذا الشكل، أعاد إلى ذاكرتها الذكريات المثيرة للاضطراب كلها. ما من تخيُّلات محمومة، كما اعترفت لنفسها بتعاسة، فالذكريات موجودة لأنها حدثت فعلاً.

انتظرت بعجز أن يسخر منها ويعنفها بالكلمات التي تسمعها الآن ترن في رأسها. لكنه لم يقل شيئاً، بل انحنى ليحملها بكل بساطة ويضعها في السرير.

- ما زلت ضعيفة للغاية...

قاطعه رنين جرس الباب فعاد يقول: «إنه الطبيب. سأفتح الباب».

حالما ذهب، رفعت يدها إلى جبينها وضغطت عليه بشدة وكأنها تحاول أن تتذكر بالضبط ما حدث. شعرت بالمذلّة عندما رأت أن كل ما تتذكره هو فرحتها بين ذراعيّ سين، وتوسلاتها المحمومة لكي يعانقها.

انفتح باب الغرفة وأشار سين للطبيب بالدخول فقال هذا حالما رآها: «لقد عدت إلينا، يا كيت، وهذا حسن. يبدو أن رعاية زوجك لك كانت ممتازة».

زوجها! أرادت أن تذكّر الطبيب بأن سين هو زوجها السابق، لكن، ولسبب ما، وجدت ذلك مجهداً لها. إدراكها لمدى ضعفها أذهلها.

- لقد تجاوزت أسوأ مرحلة، لكن هذا لا يعني أنك تحسنت، فأنت بعيدة عن التحسن.

سألته، مظهرة طاقة لا تشعر بها: «متى أتحسّن إذن؟».

وشعرت بشيء من الضيق وهي ترى الطبيب ينظر إليها وكأنه يعرف شعورها جيداً.

- حسناً، إذا نفّذت ما يُطلب منك، ولم تستعجلي الأمور، فيمكنني أن أقول إنك عدت إلى طبيعتك بعد ثلاثة أسابيع أو نحو ذلك.

- ثلاثة أسابيع!.

وجاهدت لتجلس وهي تحدّق إليه بذهول: «ولكن هذا مستحيل. عليّ أن أعثر على وظيفة جديدة! عليّ أن أعود إلى العمل. كل ما أصبت به هو جرثومة فلا يمكن أن يستغرق شفائي ثلاثة أسابيع».

- هذه الجرثومة أجهدتك إلى حد خطير. وأنا لا أريد أن أخيفك... لكن ولحسن حظك، بنيتك قوية بطبيعتها. أما بالنسبة إلى عودتك إلى العمل... لا، لا يمكنك ذلك.

فتدخّل سين وهو ينظر إليها محذراً: «كما أن هذا غير ممكن، يا دكتور، فما من رب عمل يقبل بتشغيلها من دون شهادة صحية».

شعرت كيت بالاضطراب، لكنها أرادت أن تُشفي غليلها من سين فألقت عليه نظرة عنيفة وهو يرافق الطبيب إلى الخارج.

وعندما عاد، قالت له بحزم: «لا أستطيع أن أترك العمل ثلاثة أسابيع. لو لم أمرض لعثرت الآن على وظيفة جديدة».

وعندما بقي صامتاً، ذكّرته بغضب: «عليّ أن أعمل. فلديّ ولد عليّ أن أعيله ورهناً علي أن أدفعه».

- سنتحدث عن ذلك في ما بعد. حان الوقت الآن لكي أذهب إلى

المدرسة لأحضر أوليفر.

أرادت أن تجادله لكن الصداع منعها فاكتفت بالنظر إليه بغضب عاجز وهو يخرج.

من المستحيل أن يستغرق شفاؤها ثلاثة أسابيع! إنها واثقة من أن الطبيب يبالغ في تقدير ضعفها... ويساعده في ذلك سين من دون شك. ستثبت ذلك!.

وما إن سمعت سين يخرج حتى دفعت عنها الأغطية، رافضة الإقرار بأن حتى هذه الحركة جعلت ذراعيها تؤلمانها. لكنها في العشرينات من العمر وليس في التسعينات. وتجاهلت دوار رأسها.

وضعت قدميها على الأرض بحزم ثم وقفت، لكنها ما لبثت أن انهارت وتشبثت بالسرير بعنف بعد أن عجزت ساقاها عن حملها. لا بأس، إنها تشعر ببعض الضعف... لكن السبب في ذلك هو عدم قيامها بأي عمل، وبقاءها مستلقية في السرير من دون أن تستخدم عضلاتها.

توهج وجهها وهي تتذكر ما فعلته. وفيما تشبثت بالسرير بشكل غير ثابت، أخذت صور أخرى غامضة تعاودها. ذراعان قويتان تحملانها وتمسكان بها وتسندانها حين تشرب، ويدان مواسيتان تخففان من حرارة جلدها وألمه، وجود ذلك الشخص الغامض المواسي، الذي يقدّم لها كل ما تحتاجه.

أخذت تتساءل عن الفترة التي كانت فيها حرارتها مرتفعة. لمست شعرها فوجدته نظيفاً ناعماً، وتصوّرت شخصاً ما يغسله بالمياه الدافئة ويدعم جسمها المتعب المبلّل بالعرق.

لقد فعل سين كل هذا من أجلها. اهتم بها سين وكأنه... وكأنه... وكأنهما ما زالا متزوجين... شخصان يربطهما ببعضهما البعض حب وعهود. وكأنه مازال يحبها!.

لكنه هجرها من أجل امرأة أخرى، كما أخذت تذكر نفسها بغضب وهي ترغم ساقيها الضعيفتين المتألمتين على السير. لقد أعطى ما كانت تعتبره مُلكاً خاصاً بها، لامرأة أخرى. ومهما كانت مشاعرها نحوه، فعليها ألاّ تنسى خيانته.

مشاعرها نحوه؟ هذه الحقيقة التي لم تشأ أن تعترف بها، شدّدت قبضتها المؤلمة على قلبها، فصرفت بأسنانها وسارت ثلاث خطوات قبل أن تشهق بصوت مرتفع عندما رفضت ساقاها أن تسنداها أكثر فوقعت على الأرض.

وبعد عشر دقائق، عادت إلى السرير بأمان بعد أن شعرت وكأن هناك من انهال عليها بالضرب حتى أخذ كل جزء في جسمها يؤلمها.

لم يسبق لكيت أن مرضت قط. والألم الجسدي الوحيد الذي عانته هو عندما أنجبت أوليفر. على أيّ حال، كان ذلك أمراً مختلفاً.

هذا الضعف المؤلم غير مألوف لديها. كان غريباً عنها ومخيفاً للغاية. وكرهت التفكير في أنها مضطرة للاعتماد على شخص ما. لا بد أنّ سين هو من أثار فيها كل تلك المشاعر المعقدة، التي لا تشعر بالقدرة على مواجهتها، لكن سيكون عليها أن تواجهها لأن الطبيب مصيب تماماً فهي أضعف من أن تهتم بنفسها. فكيف يمكنها أن تقوم برعاية أوليفر والبحث عن وظيفة جديدة؟.

أحرقت عينيها دموع الغضب الذي امتزج بالخوف. كيف ستتمكن من تدبّر أمورها؟ كيف سترعى نفسها وابنها؟ بدا من غير العدل أن يحدث لها هذا بعد كل المشاق التي عانتها... لا سيّما الآن، بعد أن ساورها الأمل في أن تنجح مخططاتها للاكتفاء الذاتي على الصعيد المادي. وغالبت دموعها بسرعة عندما سمعت صوت الباب ينفتح، يتبعه صوت أوليفر المتحمّس.

رؤيته وهو يندفع إلى الغرفة متجهاً إليها، يتبعه سين، رفعت معنوياتها على الفور، رغم أنها قطّبت قليلاً وهي تراه يلبس ثياباً لم ترها من قبل.. وكأن سين تكهّن بما تفكر فيه، إذ قال بعدم اهتمام: «لم ينشف الغسيل بسبب المطر فاشتريت له بعض الملابس الجديدة».

كان أوليفر قد وصل إلى السرير وأخذ يتسلقه. وعندما مدّت يديها لتساعده، ورأت على ملابسه العلامة التي تثبت أنّ ملابسه غالية الثمن زمّت فمها وقد عاودها الخوف. كيف ستتمكن من تسديد ثمن هذه الملابس الغالية الثمن فيما كل ما بإمكانها أن تشتريه عادة لأوليفر هو ملابس مستعملة جيدة، وأحياناً ملابس جديدة من المتاجر الشعبية. وهتف أوليفر بحماسة وهو يقبلها:

- أمي، لقد استيقظت تماماً في النهاية! . أنظري ما رسمته لك.

ورفع بانتصار الورقة التي رسم عليها بألوان مشرقة.

- هذا أنا وأنت وسين. وبيت سين حيث سنعيش كلنا.

جمدت كيت على الفور، ونظرت إلى سين باتهام فيما ذراعها لا تزال تحيط بكتفيّ أوليفر. وراح قلبها يخفق إلى حد الألم، ثم شرعت تقول بغضب: «ماذا...؟».

لكن سين كان يرفع الصبي عن السرير، قائلاً:

- هيا ننزل إلى الطابق السفلي لنحضّر الشاي لماما.

ثم أضاف مخاطباً كيت بهدوء: «ستتحدث لاحقاً».

فقال أوليفر بسعادة: «نعم، ثم سأقرأ لك قصة، يا ماما. كنّا نقرأ لك قصة كل ليلة، أليس كذلك يا سين؟ لكنك لم تكوني مستيقظة تماماً. النوم يجعلك تتعافين».

قال هذا لأمه باهتمام ثم تابع برصانة مزقت قلبها: «عليك أن تشربي

الكثير من الماء، أليس كذلك يا سين؟».

- نعم، كثيراً من الماء والآن بعض الطعام.

وشعرت كيت بعينيها تغرورقان بدموع التأثّر عندما خرج سين مع أوليفر.

كانت قلقة جداً من أن يؤثر مرضها في أوليفر عاطفياً، لكنها ترى الآن أنّ لا مبرر لقلقها. لأن أوليفر حصل على سين... حصل على أبيه.

وفاضت في أعماقها مشاعر الألم. كيف يتصرف سين مع أوليفر بهذا الشكل، ومع ذلك ينكر أبوّته له كلياً؟ وما معنى ما قاله أوليفر ببراءة عن ذهابهما للعيش مع سين...!.

أخذ التعب يتملّكها، متغلباً على محاولتها الغاضبة لمقاومته والبقاء مستيقظة.

وعندما عاد سين إلى الغرفة بعد خمس دقائق كانت مستغرقة في النوم. وضع من يده الصينية التي يعلوها إبريق الشاي وطبق العجة، وتقدّم منها ينظر إليها، ثم قطّب حاجبيه. قال له الطبيب أمس إنه يعتقد أنها اجتازت المرحلة الحرجة، وها هي اليوم تستعيد وعيها الكامل كما رأى بنفسه.

كره أن يوقظها، لكنه يعلم أن عليها أن تأكل شيئاً لتستعيد قواها.

مدّ يده يلمسها ثم تردد. كانت حمالة قميص النوم الذي اشتراه حين اضطر للخروج لشراء طعام وملابس لأوليفر، منزلقة عن كتفها. ومن دون تفكير، وبحركة آلية كما اعتاد أن يفعل حين كان يرعاها، أمسك بحمالة القميص بأصابعه ليعيدها إلى مكانها.

استيقظت كيت على الفور وتوتر جسمها كله وهي ترى سين منحنياً فوقها.

وثارت في داخلها المشاعر التي لطالما كبحتها. وحدثّت نفسها بغضب بأن عليها ألاّ تتصرف نحوه بهذا الشكل، عليها ألاّ تضعف فتدعه يلمس مشاعرها. عليها ألاّ تنسى كم آلمها، والأهم من ذلك كله هو كم بإمكانه أن يؤلم أوليفر.

تفكيرها في ابنها منحها القوة لتشيح بنظراتها عن سين إلى يده المستقرة على كتفها: «عليك أن تخبرني كم أنفقت عليّ وعلى أوليفر».

أدركت بمجرد أن لمست قماش قميص نومها أنه كلّفه أكثر مما يمكنها أن تدفع لكنها لن ترضى بأن تدين له رغم شعورها بالغثيان لمجرد التفكير في أنها ستضطر لصرف المبلغ الصغير العزيز عليها الذي وفّرته لشراء أشياء مترفة لا ضرورة لها.

- ثمة أمور عدة علينا أن نناقشها، ولكن عليك أولاً أن تأكلي.

نظرت إليه متمردة، ولكن عبارة (لست جائعة) ماتت على شفتيها حين أضاف برقة: «إنها أوامر الطبيب، يا كيت. وإذا اقتضى الأمر، سأضطر إلى أن أطعمك بيدي».

- هذا ليس ضرورياً.

- هذا حسن.

وعندما لم تستطع منع نفسها أكثر انفجرت تقول: «لا يمكنني أن أبقى بعيدة عن العمل ثلاثة أسابيع».

- لا يمكنك أن تقرري هذا بنفسك، كما لا أظن أنّ طبيبك سيغير رأيه ويسمح لك بالعمل قبل ذلك. هل أفهم من ذلك أنك لم تجدي وظيفة أخرى بعد؟.

زمّت شفتيها وهي تفكر في الكذب عليه، لكنها خافت أن ينكشف أمرها فقالت: «لا. لكنني أنوي أن أستغل هذه الفرصة في البحث عن

عمل».

- ستمضين الأسابيع الثلاثة التالية في النقاهة واستعادة صحتك كما سينصحك الطبيب من دون شك. وإذا لم تصدقيني فاسأليه بنفسك. إنه قادم غداً ليطمئن عليك ويتأكد من أن بإمكانك السفر إلى ... إلى بيتي.

تعاقبت الحرارة والبرودة على جسم كيت وهي تنظر إليه مذهولة غير مصدّقة: «ماذا؟ لا ... لا سبيل إلى ذلك! لا سبيل إلى أن أعيش معك مرة أخرى أبداً ... أبداً يا سين...».

- لكن أوليفر متشوّق إلى ذلك.

شعرت وكأنها تلقت ضربة في بطنها: «لا يحق لك أن تقول شيئاً لأوليفر، أو أن تستغلّه لكي...».

- لكي ماذا؟ حالياً أنت بحاجة إلى رعاية... إلى من يرعاكما أنتما الاثنين جسدياً ومادياً.

قال هذا بعدم لباقة فردت عليه مستنكرة بحرارة: «أنت لا تعرف شيئاً عن وضعي المالي، كما أنه لا يحق لك أن ...».

هزّ كتفيه ليخفي شعوره الحقيقي: «أعرف راتبك الذي تتقاضينه. وإذا ما احتسبنا المصروف الذي يلزمك فنجد أنّ عليك أن تتعاملي مع ميزانيتك بعناية بالغة. منطقياً، لا أعتقد أنّ لديك ما يسندك مالياً إذا ما توقّفت عن العمل كحالك الآن».

تملّكها غيظ بالغ وهي تراه يقيّم وضعها بكل دقّة: «ربما لست ثريّة مثلك، يا سين، لكنني لا أريد إحسانك أو...».

فقاطعها: «ربما ليس لنفسك يا كيت، لكنك بحاجة إليه من أجل أوليفر. ولا تزعجي نفسك بمحاولة الإنكار».

وأشاح بوجهه وابتعد عنها فلم تستطع رؤية التعبير الذي ارتسم على

وجهه. وأدركت بعجز أن كلام سين صحيح. فمن أجل أوليفر ليس أمامها أيّ خيار سوى الامتثال لما يقرره سين.

وتحرّك في أعماقها أمل ضئيل بأن سين سيصدّق مع الوقت وإذا ما حصل على فرصة مع أوليفر، أن الولد ابنه؟ كان جزء منها يتلهّف إلى ذلك من أجل ابنهما فقط وليس من أجلها.

قال لها فجأة: «ليس لديك سواي. إلا إذا أردت، طبعاً، الاتصال بوالد أوليفر».

قال هذ بخشونة مبدداً أحلامها، فشعرت بالألم والغضب، والغثيان. أرادت أن تصرخ في وجهه بأنها لا تريد أيّ مساعدة، وأنها إذا احتاجت إلى أحد فتفضل الموت على أن تستعين به.

قالت بحدة: «ستساعدني كارول».

لكن سين هزّ رأسه على الفور: «أنت تعلمين أن لديها أسرتها لترعاها! كما أنّ...».

فقاطعته غاضبة: «كما أنّ ماذا؟».

- لا أظن أنّ هذا سيرضي أوليفر.

خرست كيت لحظات غير مصدّقة، ثم قالت بصوت يرتجف: «أنت لا تظن... منذ متى تهتم بإرضاء أوليفر؟ ثم ألا تظن أن ما يرضي أوليفر هو أن يعترف به أبوه ويحبه؟».

- بالله عليك.

أجفلت للعنف البادي في صوته فيما تابع يقول: «بغض النظر عن هوية أبيه، أنت أمه وعلى أوليفر أن يكون معك. لو كانت كارول هي التي ترعاكما، لاضطر أوليفر أن يمضي الكثير من الوقت في بيتها، بعيداً عنك. أنا لا أنكر أنها كانت لتبذل جهدها من أجلكما،

ولكن...».

أغمضت كيت عينيها. كانت تدرك ما يقوله سين وما لا يقوله... والأسوأ من ذلك، أنها تعلم أن ما يقوله صحيح. وسألته بلهجة المهزوم: «من تقترح أن يرعانا إذن؟».

- أنا.

- أنت؟ لا. هذا غير ممكن.

- على العكس. برهنت في الأيام الماضية أن هذا ممكن جداً.

- لكن لديك عملك الذي عليك أن تديره.

- يمكنني إدارة أعمالي من البيت. ويبدو أن بإمكاني أن أرعاكما بسهولة أكبر في بيت يحتوي على أكثر من غرفتي نوم. فعلى الأقل سيكون لديّ سريري الخاص لأنام فيه.

سريره الخاص! وشعرت بالألم يحتل مكان الغضب. هذا ليس الحديث الذي أرادت متابعته.

- أين هو هذا البيت الذي يحوي أكثر من غرفتي نوم؟ أوليفر سعيد في الحضانة ولا أريده أن يكتئب.

قال مقطباً: «هذا الحل مؤقت فقط، وأوليفر لن يكتئب، كما أنه بحاجة إلى أن يعتاد على التغيير لأنه قريباً سيترك الحضانة ليدخل المدرسة. وأقرب مدرسة تبعد قرابة العشرة أميال...».

فقالت بحدة: «أعرف هذا».

إنها تعرف هذا طبعاً. ألم تشعر بالقلق السنة الماضية لأن القرية أصغر من أن تضم مدرسة؟.

قال وهو يسير إلى النافذة ينظر منها وظهره إليها: «لقد اعتاد أوليفر على أن أكون بقربه. ومن غير العدل أن نعرّضه لتغييرات جديدة. كان

متكدراً جداً أثناء مرضك. لكنه متشوّق إلى أن نكون، نحن الثلاثة معاً».

هم الثلاثة!.

طعن ألم حاد قلب كيت. كيف تحرم ابنها فرصة أن يكون مع أبيه؟.

٧ - أكره أن تلمسني

- لا تقلقي بشأن الكوخ فسأهتم به في غيابك، وسيكون في انتظارك عندما تعودين.

قالت كارول هذا وهي تتحرك في غرفة نوم كيت تحزم لها الحقائب التي أحضرها سين إليها، ثم أردفت وهي تنظر إليها نظرة ماكرة: «هذا إذا عدت. لم يدع سين أحداً لم يخبره أنكما كنتما متزوجين».

تحولت لهجة كارول المداعبة إلى قلق وهي ترى عيني كيت تفيضان بالدموع، فقالت: «كيت، كم أنا آسفة».

- لا بأس. أظن أنّ الحساسية العاطفية من أعراض هذا المرض الذي أصبت به. لماذا حدث لي ذلك؟ كل ما أريده هو أن تنتهي هذه الأسابيع الثلاثة وأن أعود إلى السير على قدميّ.

- حسناً، من المؤكد أن أوليفر مستمتع بوجود سين في حياته. في طريقنا إلى المدرسة هذا الصباح سمعته يحاول أن يقنع سين بأن حيازة كلب هو أمر ضروري لحياته.

تأوهت كيت وقالت: «ما زال يطالب بكلب منذ رأى الكلاب في المزرعة السنة الماضية. أودّ لو أشتري له واحداً، لكن هذا مستحيل لأنني موظفة».

- يا إلهي، أظن أنّ سين اشترى لك ولأوليفر ملابس تكفيكما سنة وليس ثلاثة أسابيع.

www.elromancia.com

وضحكت كارول بأسف مضيفة: «سيعود قريباً. أعرف أنه يريد أن يرحل في أقرب وقت ممكن. بالمناسبة، أين يقع المنزل الذي ستقيمان فيه؟».

سألتها وهي تحشر من دون شفقة، الملابس التي اشتراها سين لكيت ولأوليفر في الحقائب الجديدة. أخذت كيت تنظر إلى كل ذلك بتعاسة وردّت: «لا أدري».

فقد ركّزت اهتمامها هذا الصباح على مسألة أنّ سين اشترى لهما ملابس جديدة أخرى، بحيث لم تسأله عن موقع منزله.

عندما أحضر الملابس الجديدة، قالت له: «نحن لا نريد أيّ إحسان يا سين ولا نريدك أن تشتري لنا ملابس».

فقال لها برقة: «ملابس أوليفر تضيق عليه بسرعة. وملابسك كما أرى...».

فقاطعته بحقد: «ملابسي من شأني أنا».

لم يتفوّه بأيّ كلمة، لكن كيت رأت العبوس المحذر على وجهه وهو يصغي إلى طبعها السيء.

- حسناً. السيارة جاهزة.

ابتسمت كيت ابتسامة متكلفة لكارول وزوجها الذي جاء يودّعها، وتحوّلت ابتسامتها إلى عبوس قلق عندما ركض أوليفر وجورج نحوهم، فتعثّر أوليفر ووقع على الأرض.

كان توم، زوج كارول، الأقرب إليه فانحنى بشكل آلي ورفعه وهو يبتسم له مطمئناً فيما أخذت شفة أوليفر السفلى ترتعش.

- سأحمله أنا.

التفتت كيت إلى سين عندما سمعت كلماته الحازمة، فرأته يسير بثبات

إلى حيث وقف الرجل الآخر ليأخذ أوليفر منه. وعندما حمل أوليفر ظهرت في عينيه نظرة جعلت قلبها يخفق بعنف.

لقد امتعض سين من فكرة أن توم تقدم لإنقاذ أوليفر.

عالج سين ركبة الصبي المرضوضة وكبرياءه المجروحة، ثم عاد يضعه على الأرض قبل أن يتوجّه إلى كيت ليساعدها على الوصول إلى السيارة. أصبح بإمكانها الآن أن تسير بضع ياردات، ولكن كان عليها أن تعترف بأن الاستناد إلى سين هو أسهل من السير وحدها. ولم يكن ثمة حاجة حقيقية لأن يحكم وضع حزام الأمان حولها.

في السيارة، كانت واعية جداً لرائحة جسده ولحيته النابتة حديثاً التي تظلل فكّه وتجعله يبدو خشناً. نظرت إليه وهو يجهد في توفير الراحة لها. كانت أهدابه السوداء الكثيفة تلقي بظلالها على جلده، ما أسبغ عليه مظهر ضعف لا وجود له. تركيزه على القيادة ذكرها بحدة بأوليفر كلما كان مستغرقاً في عمل شيء ما.

صدر عنها صوت صغير فالتفت سين إليها. اشتبكت عيناه بعينيها، وشعرت بشفتيها تنفرجان وكأنه أرادهما كذلك، فارتعشت قليلاً.

- متى ننطلق؟.

أعادها سؤال أوليفر هذا إلى الواقع، وأجابه سين وهو يغلق باب السيارة: «الآن. في الحال».

حتى وإن كانت سيارة سين مريحة إلاّ أنّ هذا لم يمنع جسم كيت من أن يشعر بالألم.. وفيما هم يطوون المسافة التي يتطلب قطعها ثلاث ساعات لم تفكّر كيت بسوى الاستلقاء والنوم.

لكن، عندما سألها سين إن كانت بخير، أومأت، إذ لم تشأ أن تعترف كم تشعر بالإرهاق وعدم الارتياح. وقالت بعناد رافضة أن تنظر إليه رغم علمها بأنه التفت ينظر إليها: «أنا بأحسن حال».

لم ينخدع سين فقال: «لا بدّ من وجود فندق في هذه الأنحاء حيث يمكننا أن نتوقف لترتاحي فيه».

- لا.

الفنادق، كالملابس الجديدة التي اشتراها سين لهما، تكلف نقوداً، وهي مصممة على أن تعيد إليه يوماً ما، كل ما أنفقه عليهما.

لم تكن تدرك أن بيت سين بعيد بهذا الشكل. لكن كبرياءها منعتها من أن تسأله عن طول المسافة وموعد الوصول.

لكن أوليفر لم يكن لديه مثل هذه العقدة فسأله: «ألم نصل بعد؟».

- تقريباً.

طمأنه سين من دون أن يلتفت، وأدركت من صوته أنه يبتسم.

اكتسحتها موجة من التعب، وابتدأت تنزلق في مقعدها غير واعية إلى النظرة القلقة التي رمقها بها سين. وسمعته يقول: «لم يعد بعيداً. مجرد مفترقي طرق ثم نقف و...».

فانفجرت بغيظ: «سبق وقلت لك إني لا أريد أن نقف. حتى أنني لم أشأ الذهاب إلى بيتك التعيس ذاك منذ البداية».

لاحظت النظرة الذكورية التي تبادلها ابنها وأبوه. وتملكها الغضب والألم في آنٍ معاً، فهذان اللذان يسري الدم نفسه في عروقهما اتحدا ضدّها. وتحول الألم إلى الخوف من ألاّ تستطيع أن تحمي ابنها من أي أذى قد يلحقه به أبوه في النهاية.

ما كان لها أن توافق أبداً على مشروع سين، كما أخذت تعنف نفسها وهي تحاول جاهدة أن تبقى مستيقظة.

- ماما نائمة.

نظر سين إلى الصبي ليطمئنه وهو يركن السيارة.

- ما زالت مريضة نوعاً ما.

في سره كان أكثر قلقاً مما يريد لأوليفر أن يعلم... وسبب قلقه تأتّى من أن الرحلة كانت أكثر مما تحتمل كيت.

لعلها نائمة ليس إلاّ، كما حاول أن يقنع نفسه وهو يقود سيارته في الطريق المألوف حتى وصلوا أخيراً إلى مقصدهم.

حركة السيارة البطيئة أيقظت كيت، فنظرت من نافذة السيارة وهي تطرف بعينيها في محاولة منها لطرد التعب. وعندما ميّزت ما يحيط بها جمدت مكانها.

التفتت إلى سين باتهام لكنه كان يركز اهتمامه على القيادة وهم يعبرون القرية الصغيرة الجميلة التي تنهدت بنشوة لرؤيتها في المرة الأولى التي رافقته فيها إلى هنا. ما من شيء تغير. كل شيء بقي على حاله، بدءاً من النهر الصغير والشارع الرئيسي ببيوته الحجرية ذات النوافذ المقسمة بأعمدة حجرية.

وصلوا إلى آخر القرية فانعطف سين كما توقّعت، مجتازاً الكنيسة القديمة ليصل إلى الطريق الضيقة. جدار حجري مرتفع، حجب المنزل عن نظرها، لكنها استطاعت رؤيته في ذاكرتها. شعرت بالغثيان، وبالصدمة، وبالخيانة عندما دخل سين من البوابة المألوفة.

إنه البيت الذي وعدها بأن يشتريه لها. البيت الذي شعرت نحوه بحب عميق، البيت الذي لطالما تحدثت معه عنه بحماسة معتبرة أنه سيصبح البيت الذي سيربيان فيه أولادهما. البيت الذي لم تسكنه قط لأنه طلقها.

نهش الألم قلبها وغلى الغضب في داخلها. لو لم يكن أوليفر معهما لأصرّت على سين أن يعود بها إلى بيتها مهما كانت صحتها عليلة.

وبدلاً من ذلك، اكتفت بالهمس كالأسير: «لا أصدّق أنك تفعل هذا».

نزل سين من السيارة من دون أن يجيب. كانت شمس العصر تدفىء حجارة المنزل الناعمة التبنية اللون. ملأت رائحة اللافندر والورد خياشيمها حالما فتح لها باب السيارة.

قال لها وهو يساعدها على النزول من مقعدها: «طلبت من السيدة هارغريفز أن تعدّ لك ولأوليفر غرفتين».

- لا تلمسني.

قالت جملتها هذه وكأنها تبصق عليه فيما لمعت عيناها ألماً وهياجاً.

كيف يمكنه أن يفعل بها هذا؟ كيف يحضرها إلى هنا؟ إلى هذا البيت الذي ظنت أنهما سيعيشان فيه؟ واضطرت لأن تبتلع الغثيان الذي شعرت به.

خرج أوليفر من السيارة وأخذ يرقص على الحصى وهو يعلن متحمساً: «سين، أظن أن الكلب سيحب هذا المكان كثيراً».

- أنا واثق من ذلك.

وافقه سين على قوله برصانة، لكن كيت رأته يبتسم ابتسامة عريضة فتملّكها غضب بالغ جعلها ترتجف من رأسها حتى أسفل قدميها. وعادت تقول: «إياك أن تجرؤ...».

واضطرت إلى السكوت عندما انفتح باب البيت وخرجت منه امرأة في منتصف العمر اندفعت نحوهم بسرعة.

- قمت بكل ما طلبته مني، يا سين.

قالت آني هارغريفز هذا لمخدومها وهي تنظر إلى كيت وأوليفر بتحفظ. فأجاب: «شكراً يا آني. لن نؤخرك هنا أكثر فأنا أعلم أن بيل ينتظر عشاءه».

- سأذهب إذن.

استدارت ثم سارت مبتعدة عن البيت، بينما قال سين بهدوء: «آني هارغريفز وبيل يعتنيان بالمنزل هنا. لكنهما لا يسكنان فيه، فهما يفضلان السكن في بيت المستخدمين فوق المرآب. سأرافقك إلى غرفتك حيث يمكنك أن ترتاحي ثم ندخل، أنا وأوليفر، كل الأغراض إلى البيت، أليس كذلك يا أوليفر؟».

فأجاب أوليفر بابتسامة مشرقة: «نعم!».

تركت كيت سين يأخذ بذراعها ويقودها إلى المنزل. أرادت أن تبكي بشدة لكنها لن تفعل ذلك، ليس هنا وليس أمام سين.

انفتح الباب الواسع على الردهة البيضاوية الشكل التي تتذكرها. لكنها ترنحت وكادت تسقط عندما لاحظت في المكان الذي تذكر أنه كان مطلياً بلون بيج كئيب، اللون نفسه الذي أخبرت سين، متحمسة، أنها ستختاره للطلاء.

كانت الأرض مبلطة الآن باللونين الأبيض والأسود، وقد انتصب وسط الردهة قاعدة بيضاوية الشكل. عندما نظرت حولها أخذت ترتجف. كل شيء هنا هو كما تخيّلته وأخبرت سين، لكن وبدلاً من أن يسّرها ذلك، شعرت بالغثيان.

عندما لاحظ سين وجهها الشاحب كانت ترنح فأخذها بين ذراعيه وهو يشتم بصوت منخفض. لطالما كانت رشيقة ونحيفة ورقيقة البنية، لكنه وجدها الآن ضعيفة إلى درجة مخيفة وهو يتجاهل رفضها أن يساعدها. فحملها إلى الطابق العلوي صاعداً السلم كل درجتين مرة واحدة.

الغرفتان اللتان طلب من آني إعدادهما لها ولأليفر كانتا متصلتين ببعضهما البعض. وكانت كيت نفسها قد أخبرته ضاحكة، عندما جالا في المنزل لأول مرة، أن الأوسع من الغرفتين تصلح للزوجين والصغيرة

مناسبة تماماً للأولاد. حينذاك، قال لها سين مداعباً بمكر، إنّ غرفة الأولاد تكون عادة في الطابق العلوي، لكنها نظرت إليه على الفور وقالت ضاحكة إنه لا يستطيع أن يخدعها وإن عليه أن يجعل «غرفة أطفالنا ملاصقة لغرفتنا».

أطفالنا؟ حينذاك، نطق بهذه الكلمة بشكل عاطفي ثم تابع: «أتعلمين؟ مجرد سماعي هذه الكلمة يجعلني أودّ أن أبدأ بإنجابهم هنا، الآن...».

فقالت ساخرة: «أنت لم تشتر المنزل بعد... على أيّ حال، ما من سرير».

فسألها: «ومتى احتجنا إلى سرير؟».

رفضت أن تدعه يتمادى في المنزل، قائلة بحزن إن هذا العمل غير صائب ما دام المنزل ليس ملكهما.

قال حينذاك مداعباً: «أظن أنّ هذه هي إحدى «قواعد حسن السلوك»، أليس كذلك؟».

لكنه، في الواقع، كان شاكراً لها جداً على الطرق اللبقة الممزوجة بالمحبة التي اعتمدتها لتعلّمه ما هو ضروري من القواعد الاجتماعية.

لكن، عندما عادا إلى البيت، اختلف الوضع. فقد طوّقها بذراعيه حالما دخلا من الباب الخارجي، والصوت الوحيد الذي صدر عنها هو صوت الموافقة...

* * *

- أنزلني... يمكنني أن أسير.

ردّ فعل كيت جعله يدرك أنها لم تكن تشاركه حلاوة ذكرياته ومرارتها.

- ربما يمكنك أن تسيري، ولكن على ضوء ما حدث للتوّ، أشك في قدرتك على صعود السلالم من دون مساعدة.

أرادت أن تجادله، لكن خفقات قلبها المذعورة أخافتها. ما زالت تتذكر كيف مازحها سين في بداية تعارفهما وخروجهما معاً بخصوص الطريقة التي يحملها بها، فاتهمته بأنه يحب أن يتباهى بقوته الذكورية. لكنها، في داخلها، كانت مسرورة بقوته تلك.

أما الآن، فالإستياء هو سبب تسارع دقات قلبها، كما فكرت بحزم، مصممة على تجاهل صوت ضميرها الذي نبهها إلى أن استياءها هو مجرد دفاع يائس عن النفس.

لماذا يساورها هذا الشعور بالحاجة إلى الدفاع عن النفس، على أيّ حال؟ لعل جزءاً متمرداً منها ما زال يتأثر بسين. ولكن ما من شيء أكثر من هذا. إذ كيف يمكنها، هي الأم المحبة المسؤولة، أن تنسى أنّ سين رفض تصديق أن أوليفر ابنه؟.

وحدها فكرة أنه أحضرها إلى بيته هذا... هذا البيت الذي وقعت في غرامه من أول نظرة، واعتقدت أنهما سينشئان فيه أسرتهما... هي التي جعلتها تشعر بهذا الضعف والرغبة في أن تريح رأسها على كتفه علّها تشعر بالراحة والأمان، ليس إلاّ.

- ها قد وصلنا.

ودفع الباب بقدمه فانفتح. التفتت لترى الغرفة التي أدفأت الشمس جدرانها التبنية اللون، وستائر النوافذ الرائعة المتناسبة الألوان.

رأت سجادة تبنية اللون تغطي الأرض. هذه الألوان أبرزت الأثاث الجميل الطراز.

عندما وضعها سين على السرير، جاهدت كيلا تظهر مشاعرها. كانت الغرفة تماماً كما تخيّلتها، وكما أرادت أن تؤثثها بالضبط.

قال لها ببساطة، غافلاً عن تأثير الغرفة العاطفي على مشاعرها: «وضعنا سريراً لأوليفر في الحضانة».

هل حوّل سين الغرفة الملاصقة إلى غرفة حضانة كما كانت تريد؟ لم تثق بقدرتها على طرح هذا السؤال. وسرّها أنها لم تفعل عندما اندفع أوليفر داخلاً ووجهه يتألق حماسة قائلاً بجدية بالغة: «آني تقول إن بإمكاني أن أذهب وأرى كلبها إذا وافقت أنت يا ماما».

- آني؟.

ونظرت إليه بسرعة. لعل سين ينادي مدبرة منزله وزوجها باسميهما الأولين، لكنها لن تسمح لابنها بأن يتمثل بأبيه إلا بعد اعطائه الإذن بذلك.

- تُفضّل آني أن نناديها باسمها الأول.

كان سين خلف ابنه مباشرة، وسرعان ما قرأ أفكارها ما جعل كيت لا تستطيع الجواب بينما تابع: «سيكون أوليفر آمناً جداً معها. سآخذه إلى بيتها بنفسي ليراها».

تجاهل أوليفر أمه، ولفّ ذراعيه حول ساقي سين بشدة وهو يرفع بصره إليه بمحبة.

نظرت كيت إليهما والألم يعتصر قلبها، لكنه ألم امتزج بالحب والخوف.

قال أوليفر متوسلاً: «هل يمكننا الذهاب الآن؟».

- لا، ليس الآن. يمكننا أن نذهب غداً صباحاً.

حبست كيت أنفاسها بقلق، متوقعة أن يرفض أوليفر اقتراح سين. عبس الصبي وبدا على وشك أن يعترض، لكن سين، الذي هيأ نفسه لاعتراض أوليفر، تجاهل تصرفه تماماً وقال له: «تعال لترى غرفتك يا

أوللي. إنها هناك، قرب غرفة أمك».

مناداة سين للصبي باسم التحبب «أوللي» جعلت كيت تشدّ قبضتيها... في حين مدّ سين يده المفتوحة للصبي ليضع فيها يده ثم سار الاثنان يداً بيد، إلى الغرفة يتفحصانها وتركاها تنظر إليهما بقلق وهما يبتعدان.

وسمعت أوليفر يقول من داخل الغرفة: «المكان هنا واسع لتضع كيس نومك، يا سين. ستتمكن من أن تنام في غرفتي وليس في غرفة ماما».

- حسناً، أحب أن أفعل هذا يا أوليفر. ولكن، لديّ هنا غرفتي الخاصة... كما لديك أنت غرفتك في بيتكم.

- لكنني أريدك أن تنام هنا معي.

وشعرت كيت وكأن سين انحنى ورفع أوليفر عالياً وهو يقول: «عندما كنت في بيتكم، كانت أمك مريضة، أليس كذلك؟ وكان عليّ أن أبقى قربها في حال احتاجت إليّ. لكنها الآن تحسنت كثيراً».

- حسناً، يمكنك أن تنام معها في السرير كما يفعل والد جورج ووالدته.

قال أوليفر كلامه هذا بمنطق ابن الخامسة ما جعل عيني كيت تحترقان ألماً.

في الغرفة المخصصة لأوليفر، التفت سين إلى النافذة فيما أوليفر لا يزال بين ذراعيه وقد شعر بلوعة الشوق التي أثارها فيه اقتراح أوليفر البريء.

«كيت... كيت التي لم تعد كاتي حبيبته الرقيقة... لن ترغب فيه أبداً في سريرها بإرادتها».

كان سين يعلم ذلك. نعم، حين كانت حرارتها مرتفعة، عندما لم

تستطع التفريق بين ماضيهما وحاضرهما، عادت كاتي مرة أخرى، ولكن ليس في الواقع.

قارب وقت الغروب وقد مال أوليفر بثقله عليه. ورغماً عنه، تذكّر شعوره غير العقلاني عندما تقدم توم لإنقاذ أوليفر، شعر بأنّ ذلك الرجل يغتصب منه دوره الشرعي. واشتدت ذراعاه حول أوليفر. هل سبب هذا الرابط العاطفي الذي تشكّل بينه وبين أوليفر هو أن أوليفر ابن كيت؟ أم أنه بدأ، بشكل ما، يحب أوليفر لشخصه علّه يختبر شعور الأبوّة؟.

قال له بلطف: «لماذا لا أفتح لك جهاز التلفزيون فتجلس وتشاهده قليلاً قبل النوم؟».

- وهل سنقرأ حكاية قبل النوم لماما؟.

أخذ سين يشعث شعر أوليفر بأسف، فقد صمم على ألاّ يدع كيت تتهمه بأنه يستغل التلفزيون لرعاية ابنها. واعتمد عادة قراءة الحكايات قبل النوم بمساعدة أوليفر حيث يقرآن الحكاية معاً. أما السبب الذي جعله يقرر قراءة القصة في غرفة كيت فهو أنه أدرك مدى أهمية هذا الأمر بالنسبة إليها، وهي التي تريد أن تشارك في كافة تفاصيل حياة ابنها وبقدر ما تستطيع.

سمع صوتاً عند الباب فالتفت ليرى كيت تقف عند الباب مستندة إليه.

- يُفترض بك أن ترتاحي الآن.

- سأفعل عندما أكون بحاجة إلى ذلك. والآن، لست بحاجة إلى ذلك.

وأضافت وهي تمدّ ذراعيها إلى ابنها من دون أن تنظر إلى سين: «لماذا لا أقرأ لك قصة قبل النوم، يا أوللي؟ فسين مشغول جداً».

لكنها ذُهلت حين رأت أنّ ابنها، وبدلاً من أن يتململ لكي يتركه سين، عاد يندس به أكثر ما إن وضعه هذا على الأرض.

أخذت كيت تنظر من نافذة غرفة الجلوس الجميلة إلى الفناء حيث كان أوليفر يلعب بحماسة مع كلبة مدبرة المنزل اللطيفة والحسنة الطبع. كان الصبي والكلبة مستغرقين في لعبة المطاردة. وعندما تعثّر أوليفر ووقع على الأرض، أظهرت الكلبة اهتماماً بالغاً وبقيت جانبه بقلق حتى نهض الصبي من دون أن يلحقه أيّ ضرر.

مضى عليهما الآن أسبوعان في منزل سين، وكانت هي مقتنعة بأنها شفيت تماماً... وهذا يعني... أن الوقت حان لتعود مع ابنها إلى بيتهما وحياتهما المعتادة.

لم تستطع كيت أن تخدع نفسها وتقنعها بأن أوليفر يريد الرحيل. فهو يحب سين إلى حدّ الجنون. وأجفلت وهي ترى سين يسير في الفناء نحو ابنهما، وكان قد غادر المنزل بعد الفطور لحضور اجتماع عمل. ركض أوليفر إليه حالما رآه، وضحك بسرور عندما أمسك سين به وأخذ يؤرجحه بشكل دائري. وارتسمت في مخيلتها صورة أخرى لها وهي تجلس قرب سين وأوليفر يركض نحوهما بينما ذراع سين تشدّها إليه لتلقي برأسها على كتفه.

شعرت بوهن في ساقيها فيما أخذ جسمها يرتجف... ولكن السبب لم يكن مرضها. لا، فعليها أن تواجه الحقيقة المسؤولة عن مرضها.

بدا وكأن لا شيء، حتى رفضه لابنه، استطاع أن يمحو حبها لسين. فذلك الحب متجذر في أعماقها.

مشاعر الذعر والغضب والخوف راحت تتصارع في داخلها بعنف. عليها أن تخبر سين أنها ترغب في الرحيل، وعليها أن تفعل ذلك الآن!.

تنفّست بعمق، ثم خرجت. وعندما رآها سين تقترب، وضع أوليفر

على الأرض.

قال أوليفر لأمه باهتمام وهو يشدّد قبضته على طوق الكلبة: «سآخذ نيل إلى بيتها لتتناول وجبة طعام الآن».

في أي مناسبة أخرى، كانت كيت لتشعر بالتسلية وهي ترى أن الكلبة بدت هي المسؤولة عن الصبي وليس العكس وهما يسيران إلى حيث وقفت مدبرة المنزل في انتظارهما. ولكن، وفيما هي تنظر إليهما، شعرت بسين يتقدّم ليقف بجانبها، فابتعدت عنه على الفور. فالقرب منه خطر.

أحنى رأسه وقال بهدوء: «كنت أفكر في ما يمنع أوليفر من اقتناء كلب. وفي طريق عودتي، مررت بمحل يبيعون فيه جراء «لابرادور»، لكني وجدت أنها لا تزال أصغر من أن تنفصل عن أمها حالياً. وإذا كنت ترغبين، يمكننا الذهاب نحن الثلاثة، غداً لرؤيتها ليتمكّن أوليفر من أن يختار...».

قاطعته بحدة: «لا! لن يحصل أوليفر على كلب».

فقطّب جبينه: «كيت. إنه متلهّف لاقتناء كلب».

- أتظنني لا أعلم هذا؟ لعلك تظن ذلك لكنني واثقة. لا بدّ أنك تدرك أن من المستحيل عليه أن يربي كلباً في البيت. أنت تعلم أنني امرأة عاملة.

وابتعدت عنه غاضبة.

فوضع يده على ذراعها: «كيت...».

حاولت أن تنتزع ذراعها من يده بعنف: «دعني. أنا أكره أن تلمسني».

- ماذا؟.

عندما رأت عينيه تظلمان، أدركت أنها تجاوزت الحد. لكن الوقت فات على ابتلاع كلماتها، إذ شدّها إلى جسمه وهو ينظر إلى وجهها.

- لا!.

لكن رفضها سحقه عناق سين الغاضب، واشتدت أصابعه على ذراعها.

راح الدم يغلي في عروقها غضباً، ما جعلها ترد بعنف. لكن غضبها نتج عن شوق ورغبة، كما أدركت بعجز.

اختفى من ذهنها الماضي وخيانة سين لها. ومن دون وعي، ارتفعت يداها تحيطان بوجهه بينما خفق قلبها بمشاعر عنيفة. وراحت ترتجف عندما جذبها إليه بعناد.

كيف يمكن أن تشعر بالبهجة المذهلة العارمة نفسها التي شعرت بها وهو يعانقها بهذا الشكل لأول مرة؟

ولكن هذا ما حدث. ربما لأن رد فعلها الآن كامرأة، أصبح فورياً وأعنف مما كان عليه حينذاك.

وخلال ثوانٍ قليلة، أصبح جسدها من الشوق له بحيث أعادها إلى حين كانت في الثامنة عشرة من عمرها.

- لا... يا سين... لا... مممم...

وسمعت صوتها يهمس بكلمات غير مترابطة عن الحب. ولم يعد يهمها ما قد تكشف عنه، بل ما تشعر به وحسب!

- سين!

نطقت باسمه متوسلة.

- كيت! كيت!.

الطريقة التي نطق بها باسمها لمست حواسها كلها فراحت تستعيد

ذكرياتهما المحمومة، عندما رن هاتفه الخلوي ما جعلها تقفز متراجعة، لتعود إلى أرض الواقع.

ما الذي تفعله؟ ابتعدت عن سين وأخذت تركض إلى المنزل لا تريد الهرب منه وحسب، بل من الذل الذي عرّضت نفسها له.

- كيت!.

وأخذ يشتم بصوت منخفض عندما رفضت أن تصغي إليه أو أن تتوقف. كان هاتفه لا يزال يرنّ فأطفأه بفروغ صبر ثم لحق بها.

حالما وصلت إلى غرفتها، فتحت الخزانة، وأخرجت الحقائب التي اشتراها سين لهما. فتحت إحداها ثم أخذت تضع فيها ملابسهما.

- ما الذي تفعلينه؟.

استدارت عند سماع صوته وردت: «ماذا تراني أفعل؟ أحزم ملابسي لأننا، أنا وأليفر، راحلان! ما كان لنا قط أن نحضر إلى هنا. كنت أعلم...».

فقاطعها: «ماذا كنت تعلمين؟».

كان ينظر إليها بعينين لامعتين جعلتا قلبها يخفق توجّساً. وسرت قشعريرة باردة في عروقها، لكنها رفضت الخضوع لشدة غضبها: «كنت أعلم أنني لا أريد أن أكون هنا معك، يا سين. اسمع، لا أريد أن أتحدّث في هذا الموضوع».

- منذ أقل من خمس دقائق كنت بين ذراعي و...

فانفجرت تقول: «قلت لك لتوّي إني لا أريد التحدّث في هذا الموضوع. وما... وما حدث للتو ... لا يعني شيئاً، كان مجرد...».

فقال يتحداها بلطف هو أخطر بكثير من الغضب: «مجرد ماذا؟».

أدركت أنه يحاول أن يجعلها تنظر إليه، لكنها علمت أنه سيرى في عينيها مدى ضعفها إذا ما فعلت ذلك. وأصرّت بعناد، وهي لا تزال تشيح بوجهها عنه: «لا شيء».

شيء ما في صوته أنذرها بما هو آت حين ردد: «لا شيء؟».

فتركت ما بيدها وفرّت منه، وإذا بها تدرك بعد فوات الأوان، أنها ركضت باتجاه السرير وليس الباب. استدارت لتعود أدراجها فوجدت أن سين يقف حاجزاً أمامها فلم تجد أيّ خيار آخر سوى أن تستدير وتحاول أن تصعد إلى السرير.

- يا له من تغيير ظريف!

سمعته يقول ذلك بتسلية من خلفها فيما أمسك بكاحلها وهو يركع على السرير قائلاً: «لطالما اعتقدت أنك مثيرة... أتذكر...».

لم تشأ أن تسمع ما يتذكره إذ خشيت أن يجعلها ذلك تشعر بمزيد من الضعف.

قوّت عزيمتها ورفضت أن تحوّل نظراتها بعيداً عندما التفت إليها ليبتسم في عينيها.

قال بلطف: «والآن، بالنسبة إلى هذا اللا شيء، دعينا نبدأ من جديد، هنا والآن... فما رأيك؟».

نظرة واحدة إلى عينيه أنبأتها بما سيحدث.

حاولت أن تقول لا. حاولت أن تعني لا... لكن سين كان يستعمل سلاحاً غير عادل ضدها. كان يعلم كم تضعف عندما يعانقها بتلك الطريقة.

وذُهلت وهي تشعر بجسدها يتمرد عليها.

كانت يداه تطبقان بقوة على جسدها فتزيد النار في داخلها قوة لتصبح

حريقاً كبيراً يهدد بتدميرها. ومع ذلك، لم تعد تهتم بأي خطر... كل ما يهمها سين وطوفان حبها العنيف وهو يندفع ليحطم السدّ.

وعندما أغمضت عينيها استطاعت أن تشتم رائحة ماضيهما المشترك... الجوّ الحار المثقل بالغبار في شارع صغير في الضاحية ممزوج بحرارة عواطف سين وشعورها بالإثارة.

اعتقدت ذات يوم أن سين يحبها كما تحبه، وأن نظرته إلى الحب تماثل نظرتها من حيث القدسية.

ومع ذلك، فقد أنكر طفله!.

وملأها اشمئزاز مرّ من نفسها فأين كرامتها واحترامها لذاتها؟.

دفعته عنها بقوة، وهي تصرخ: «لا، لا!».

صدمه تصرّفها هذا، بعد أن كانت مستسلمة كلياً لعناقه ولمسته. كيف أمكنها أن تفعل به هذا بعد أن أثارته إلى حدّ لا يحتمل؟ شعر بكبريائه مجروحة سيّما وقد أظهر لها مدى شوقه وحرمانه.

شعرت كيت بسين يبتعد عنها، ليس جسدياً فقط بل روحياً أيضاً. وفجأة، اكتسحتها موجة سوداء من التعاسة والإرهاق، ففرّت إلى غرفتها رافضة أن تواجهه.

* * *

نظر سين إلى السرير حيث كانت كيت منذ قليل، فظلل عينيه الاكتئاب.

كان قد نسي أنها عرفت رجلاً آخر في حياتها... رجلاً فيه من الرجولة ما يكفي ليمنحها طفلاً. وتحوّلت المرارة في فمه إلى غضب بالغ.

بين ذراعيه، تجاوبت معه وكأن رجلاً آخر لم يلمسها... وكأنها لم

تشأ أن يلمسها أي رجل آخر. والله وحده يعلم كم يودّ أن يصدّق هذا.

وأدرك بكآبة أنه لا يستطيع العيش من دونها بعد الآن... رغم كل ما عرفه عنها!.

www.elromancia.com

٨ - لم أشفَ منك

استيقظت كيت ببطء ثم تمطّت والنعاس ما زال يتملّكها.

جلست في سريرها وقد ملأت ذهنها الأفكار القلقة الغاضبة. اختفت الملابس التي كانت تحزمها للسفر والحقائب أيضاً. وعندما أدركت أن الساعة هي التاسعة صباحاً ازداد ضيقها.

وكبحت عنان أفكارها بحدة. لم تستطع أن تصدّق أنها نامت كل هذا الوقت وبهذا العمق... رغم كل ما حصل، استطاعت أن تنام... لعلها لم تُشفَ تماماً... لعل الألم خدّرها بحيث أفقدها الإحساس بالمكان والزمان.

راح قلبها يخفق بعنف... وتملّكها غضب غريب.

توقفت أفكارها المضطربة عندما انفتح الباب فجأة.

- ماما!.

خفق قلبها وهي تنظر إلى ابنها. كان يرتدي ملابس جديدة من تلك التي أصرّ سين على شرائها له، بذلة تظهره رجلاً وصبياً صغيراً في وقت واحد.

قال بحماسة: «لقد أحضرنا لك فطورك».

اعتصر قلبها لسماعها كلمة (أحضرنا) بصيغة الجمع، وطلبت من الله أن يعني بذلك مدبرة المنزل وليس سين. لكن توترها أنبأها بأنه سين حتى قبل أن يدخل حاملاً صينية مثقلة.

- نمت وقتاً طويلاً يا ماما.

عنّفها أوليفر بذلك قبل أن يبتسم ابتسامة عريضة ويضيف: «ماما، حضّرت الخبز المحمّص، وقد ساعدني بابا...».

جمد الثلاثة وتغضن وجهها للنظرة التي بدت في عيني أوليفر فيما توهج وجه الفتى احمراراً فركض إليها وصعد إلى السرير ليدفن وجهه المحمرّ المرتبك في جسمها. طوقته بذراعيها بشكل غريزي. كان، على عكس كيت، أصغر من أن يعلم لما نادى سين بكلمة «بابا». ولكنه ليس أصغر من أن يعلم أنه ما كان له أن يفعل ذلك.

ومن فوق رأس أوليفر نظر سين إلى كيت ثم وضع الصينية بصمت، قبل أن يستدير ليخرج.

لم يعد من الممكن أن يؤجّل الأمر أكثر؛ كما حدّثت كيت نفسها بعنف. وراح قلبها ينزف دماً وحزناً وألماً على ابنها الذي أفصح عن مشاعره وحاجته. لكن إشارة أوليفر البريئة إلى الدور الذي يتشوّق إلى أن يلعبه سين في حياته قوّى عزمها على الرحيل.

إدراكها لمدى ضعف ابنها ملأها بألم غير محدود. كم من أذى غير متعمّد تسببت به حين عرّفته إلى سين؟.

كانت تعرف المثل القديم الذي يقول إن الطفل الذي يعرف أباه هو طفل حكيم. لكن ماذا لو كان هناك رباط بدائي غريزي بين الأبن والأب وقد تحرّك هذا الرباط بظهور سين في حياة أوليفر؟.

المشاعر التي تحركت في أعماقها وهي ترى أوليفر يدرك غلطته حين نادى سين «بابا»، لم تكن الدموع تكفيها. لقد تظاهرت بأنها لم تلاحظ احمرار وجه أوليفر وضيقه، وراحت تقنعه بأن يشاركها تناول الخبز المحمّص ويخبرها عن نشاطاته عصر اليوم السابق، عندما سمحت له مدبرة المنزل بأن يلعب مع الكلبة، ثم قدمت له الشاي.

لكن حتى تصرّفها هذا كان خطأً منها، فقد أخبرها أن سين أحضره من بيت مدبرة المنزل وأدخله الحمّام ثم قرأ له حكاية قبل النوم.

- قال با... سين إنك متعبة وبحاجة إلى النوم.

كلام الصبي البريء مزّق فؤادها وهي تفكر في الضرر الذي ألحقته به.

لكن الأسوأ هو نظرة الرجاء في عيني أوليفر وهو يقول لها: «أريد أن أبقى هنا طول العمر مع الكلبة نيل... وسين...».

وهبط قلبها حين تجنب النظر إليها فجأة. فقالت متصنّعة الهدوء: «حسناً، كانت إقامتنا هنا سارّة. ولكن ماذا عن جورج؟ إنه صديقك و...».

أسكتها بعناد: «سين صديقي نيل أيضاً. يمكن للكلب أن يكون صديقاً، ونيل صديقي».

وهزمها كلّياً حين أضاف: «أتمنى لو أن سين أبي».

من نافذة غرفة الجلوس، رأت أوليفر يساعد البستاني بنشاط في الحديقة، فأغمضت عينيها على آلامها. وعندما فتحتهما انتبهت إلى أن سين يقف بجانبها.

- علينا أن نتحدث.

أسكتته بمرارة: «ما من شيء نتحدّث عنه. لقد أنهيت حزم أمتعتي تقريباً...».

وسارعت تقول من دون أن تستطيع منع نفسها: «أعلم أنك تظن أني علّمت أوليفر أن... يقول... ما قاله. لكنني لم أفعل. كان يرى صديقه جورج مع أبيه فكان... بقي هذا في ذهنه فترة... لأنه من دون أب...».

لاحظ سين أن الاسم الجديد الذي اختارته لنفسها يناسبها. إنها الآن «كيت»، امرأة ناضجة ولم تعد «كاتي» الفتاة الشابة. كان يعلم أن شيئاً ما في اسم «كيت» جعله يتجاوب معها كرجل. كاتي الفتاة اختفت، وآلمه أن تمرّ بمرحلة النضج هذه من دون أن يكون موجوداً ليشاركها إياها. وإذا ما آلمه هذا، فكيف سيكون شعوره لو أمضت بقية حياتها بعيدة عنه؟.

- لديّ ما أعرضه عليك.

كررت قوله بحذر: «ما تعرضه عليّ؟».

ماذا سيفعل؟ هل سيعطيها بعض النقود لتبتعد عنه مع أوليفر وتنكر أنه أبوه؟

وسألته بشك: «أي نوع من العروض هذا؟».

فقال ساخراً: «وما الذي يعرضه الرجل على المرأة عادة؟ مشروع عمل؟».

وعندما جمدت مكانها تحدّق إليه قال متعباً: «أعرض عليك الزواج، يا كيت».

سرت الصدمة في كيانها بسرعة البرق، تبعها عدم تصديق امتزج بألم عميق إلى حد لا يُصدّق. ولم تستطع سوى أن تسأله بحدة: «لماذا؟».

- لماذا؟ لأنني أريدك أن تعودي زوجة لي و...

والتفت ينظر من النافذة إلى الفناء الخارجي، مشيحاً بوجهه كيلا ترى ما ارتسم على ملامحه من تعبير ثم قال بجمود: «ولأنني أريد أوليفر ابناً لي».

سمعته وكأنه يتكلم من مكان بعيد للغاية أو من خلال زجاج سميك.

كبحت، بشكل ما، كلمات الرفض الغاضبة التي أخذت تهدر في أعماقها، كما كبحت رغبتها في أن تقول له: «لكن أوليفر ابنك فعلاً».

كبحت هذه الكلمات بعد أن ارتسمت في ذهنها صورة واضحة مؤلمة لطفل صغير متلهّف إلى أب. وأهم ما تعرفه عن سين هو أنه رجل يكرّس نفسه تماماً وكلّياً لكل ما يقرر فعله... وهو، يكرّس نفسه لهدف واحد أحياناً.

لقد رأت بنفسها الصداقة القوية التي ربطته بأوليفر، وهي تعلم أنه ليس من طبع سين أن يدعي صداقة كهذه. لكنها لا تستطيع ولن تستطيع أن تغامر بمستقبل وبمشاعر ابنها!.

- ابنك؟ لكن سبق ورفضت أن تقبل بأوليفر ابناً لك، وأخبرتني أنك تعتقد أنه ابن رجل آخر...

- أنا غير مستعد لمناقشة هذا الموضوع.

قاطعها بحدة، وعندما رأى وجهها، سألها بعنف: «ألا تدركين شعوري وأنا أعلم أنك عرفت رجلاً آخر في حياتك؟ في سريرك؟ ألا تعلمين مدى رغبتي فيك؟ والطريقة الوحيدة لإنهاء هذا الأمر هي عدم التطرّق إلى هذا الموضوع، فأضعه في صندوق أدفنه في مكان بعيد بحيث لا يعود إلى الظهور أبداً».

- أتظنني أختلف في هذا عنك؟ فأنت لم تكن مخلصاً لي.

- يمكنك أن تنسي كل ما يتعلق بها، فهي لم تكن حقاً...

- تعني شيئاً لك؟.

حوّل نظراته بعيداً عنها. أوشك لسانه أن يزّل فيعترف لها بأنّ تلك المرأة لا وجود لها في الحقيقة!.

ماذا ستظن كيت إذا عرفت حقيقته المحزنة المثيرة للرثاء؟ كيف سيكون رد فعلها؟ هل سترثي لحاله؟ ترفضه؟ هل إدراكها للحقيقة سيجعلها تفهم مدى حبه لأوليفر ورغبته في أن يكون أباه؟.

تشوّق، من ناحية، أن يشاركها سرّه وآلامه، لكن كرامته منعته. وبدلاً من ذلك، قال ببطء: «أوليفر بحاجة إلى أب، وأنا...».

- تريد أن تعطف علينا؟.

تكلمت بغضب، كارهة الاعتراف حتى لنفسها، كم أثرّت كلماته العاطفية في مشاعرها.

قال والسخرية من النفس تلمع في عينيه لتخفي ألمه: «لا، بل أريدكما، أنت وأوليفر، أن تعطفا عليّ».

كان هذا الكلام أقرب إلى الحقيقة مما يمكنه أن يعترف به.

وعندما لم تجب، قال لها بكآبة: «نحن نعرف شعور من ينشأ من دون والدين يحبانه. وأوليفر يحتاج إلى أب».

لم تستطع كيت أن تصبر أكثر، وأحرقت شفتيها عبارة «لكن أوليفر لديه أب». لكن، حين رأت ابنها في الحديقة، أدركت ما ستعنيه له موافقتها على اقتراح سين.

- أنا... أنا...

حاولت أن ترفض إنما تردد في ذهنها صوت أوليفر وهو ينادي سين بكلمة «بابا».

ربما بإمكانها أن تقاوم الضغوطات العاطفية التي يمارسها سين عليها، لكنها لا تستطيع أن تقاوم تلك النبرة التي سمعتها في صوت ابنها.

أخذت نفساً عميقاً: «لا بأس يا سين. لقد قبلت. ولكن إذا فكرت يوماً في أن تؤذي أوليفر، فسأتركك على الفور».

ابتعدت عنه فسمعته يتبعها وعندما توقفت أخذها بين ذراعيه ليعانقها بعنف بالغ.

شعرت بنفسها تسترخي، بينما راح جسدها الغادر يسترجع ذكريات

الماضي، ما جعلها تكاد تذوب وهي تلتصق به حتى أصبحت جزءاً منه.

أرادت أن يزيد من احتضانها وأن تستسلم لمشاعرها، لكنه قطع عناقهما وأبعدها عنه.

المذلّة التي شعرت بها جعلتها توشك أن تتركه مبتعدة، لكنها سمعته يقول محذراً بهدوء: «أوليفر!».

أذهلها أن تدرك أن سين أحسّ بقدوم ابنها قبلها. لكن أملها في ألاّ يكون أوليفر قد رآهما معاً في ذلك الموقف الحميم، تلاشى حين دخل الصبي وسأل على الفور: «لماذا تعانق ماما، يا سين؟».

وقبل أن تتمكن من التفكير في جواب ما، أجابه سين: «كنا نعانق بعضنا البعض لأننا ستتزوج. وهذا ما يفعله المتزوجون».

وما إن أنهى كلامه حتى ركع وفتح ذراعيه لأوليفر: «طلبت من أمك أن تتزوجني، يا أوليفر. والآن، ثمة ما أريد أن أطلبه منك».

فاضت المشاعر في أعماق كيت، لكن هذه المشاعر لا تقارن بما أحسّت به عندما تابع سين يقول: «هل ستقبل أن أكون لك «بابا» يا أوليفر؟».

إشراق وجه أوليفر بالفرح كان جوابه. وما لبث أن ألقى بنفسه بين ذراعي سين!.

عندما وقف سين، رافعاً أوليفر على كتفه، راح الصبي يغني: «با... با... با... أناديك... با... با. يمكنني أن أناديك بابا الآن، أليس كذلك؟».

وعندما أومأ سين برأسه، كانت كيت واثقة من أنها رأت عينيه تلمعان بالدموع.

٩ - ألم الحياة

دهشت كيت وهي ترى سين يصرّ على أن يتم الزواج في الكنيسة، وازدادت دهشتها عندما شعرت وكأنها عروس جديدة وهي تقف في باب الكنيسة مستعدة للتوجه إلى حيث ينتظرها سين.

الثوب الأنيق الذي ارتدته كان تبني اللون. وقد أصدر حفيفاً ناعماً وهي تستدير لتنظر إلى أوليفر وتقول بحنان: «أجاهز أنت يا أوللي؟».

كان شديد الحماسة، لكن حين وصل إلى الكنيسة، فتح عينيه وبدت عليه الرهبة.

جون سيسلمها إلى عريسها، لكن أوليفر هو من سيسير معها حتى المذبح. كان هذا قرارها، الذي أصغى إليه سين بصمت وعينين شاردتين.

وفي داخل الكنيسة، رفع أوليفر يده وأمسك بيدها.

وعندما تعالت موسيقى الأورغن، سارت الأم وابنها إلى حيث ينتظرهما الرجل الذي سيسلمان نفسيهما لرعايته.

أوشكا أن يصلا إلى حيث يقف سين عندما قال أوليفر لأمه همساً: «ماما، أنا مسرور جداً لأن سين سيتزوجنا».

أكملت كيت الخطوات المتبقية والدموع في عينيها وقد فاضت مشاعرها. باقة الورود التي حملتها في يدها أخذتها منها كارول. لكن حين اقتربت صديقتها لتمسك بيد أوليفر وتبعده عن العروسين، هزّ سين

رأسه وأمسك بيده.

وقف أوليفر بينهما، وقد أمسك كل منهما بإحدى يديه. ابتدأ الكاهن بالطقوس التي ستعيد تزويجهما، وتربطهما ليس كزوج وزوجة فقط، بل كأب وأم أيضاً.

عندما دقّت الأجراس احتفالاً بالزواج، ومالت الشمس إلى المغيب، سألها سين: «هل أنت على ما يرام؟».

فأومأت بصمت. هل لا تزال غير راضية عن القبلة الخفيفة التي طبعها سين على خدها ليثبت بها عهوده الزوجية؟

لقد تزوجته من جديد لأنه والد أوليفر ليس إلا، كما حدّثت نفسها بعنف.

كانا سيتناولان فطور عرسهما في غرفة الطعام في أفخم فنادق المنطقة، ثم سيسافران إلى إيطاليا لقضاء أيام عدة. حاولت، في البداية أن تعترض، لكن سين أعلن أنهم، هم الثلاثة، بحاجة إلى وقت يمضونه بمفردهم، بعيداً عن بيئتهم المعتادة.

لم يجد أوليفر أيّ صعوبة في التعوّد على كلمة «بابا». وكانت تراه ينظر إلى سين بابتسامة واسعة ويقول باهتمام إنه أصبح الآن ابنه الصغير.

ومرّت على وجه كيت سحابة مظلمة. أخبرها سين في الأسبوع الماضي أنه يريد أن يتبنى أوليفر رسمياً، لكن كيت رفضت ذلك. فكيف يتبنى المرء ابنه؟.

فتحت كيت عينيها مكرهة، لا تريد أن تفقد الحلم الجميل الذي رأت فيه نفسها بين ذراعي سين. لكن السرير الضخم في جناحهما في الفندق كان خالياً من زوجها. في الليلة الماضية، بعد وصولهم، وعندما رأت الجناح، هتفت بشكل لا واعي: «هل ستنام جميعاً في غرفة واحدة؟».

فأجاب سين: «ظننتك تفضّلين ذلك».

- نعم. هذا صحيح.

وافقته الرأي لكن جزءاً صغيراً منها لم يستطع إلا أن يقارن ظروف شهر عسلهما الثاني بشهر عسلهما الأول. حينذاك، لم يكن المكان ليقارن بهذا المكان من حيث الترف والرفاهية. لكن حتى الجوّ، في تلك الغرفة الصغيرة، كان مشحوناً بشذا حبهما وجوعهما إلى بعضهما البعض فكان ذلك وحده كافياً لهما.

ذلك كان حينذاك، أمّا هذا فهو الآن!.

وأين أوليفر؟ السرير الصغير، الذي أصرّ سين على وضعه في الغرفة، كان خالياً أيضاً.

دفعت عنها الأغطية ثم تناولت عباءتها شاعرة بالقلق. كانوا قد وصلوا متأخرين الليلة الماضية فلم تجب بأكثر من إيماءة حين أخذ سين يسرد لها مواصفات الجناح. لكن الآن، وحين فتحت الباب المؤدي إلى الفناء الخاص بالجناح، حبست أنفاسها بهجة.

كان الفندق، في الأصل، قصراً صغيراً، وجناحهما يقع في الطابق الأرضي من أجل أوليفر. من الفناء، رأت كيت مياه بحيرة الفندق الزرقاء الساكنة التي كان جمالها يخطف الأنفاس. أثار انتباهها صوت تخبّط في الماء بجانبها، فجمدت حين رأت أن أوليفر هو سبب الضجة، وقد وقف سين بجانبه يشجعه على السباحة.

يشجعه على السباحة! لكن أوللي لا يستطيع السباحة. فقد بذلت كل ما في إمكانها منذ كان طفلاً صغيراً لتجعله يتعلّم السباحة، لكنه كان يخاف من الماء. حتى الآن... حتى جاء سين...

وفجأة، خطرت لها فكرة لم تشأ أن تحللها. شعرت بأنها أصبحت منبوذة، غير مرغوب فيها. هل هي الغيرة؟ وغضبت من نفسها لهذا الشعور.

قال لها سين إنه يريد أن يعودا زوجين من أجل أوليفر. وفجأة، خطر في بالها معنى ذلك.

لطالما تمنّى سين أن يرزق بولد. والآن، وبما أنه رجل أعمال ناجح جداً فلا شك أنه يريد ولداً أو أكثر. ونظراً للطفولة التي عاشها، يمكنها أن تدرك مدى رغبته في إنشاء أسرة. ولكن هذا لا يعني أنه يحب أوليفر... وبالتأكيد لا يعني أنه يحبها هي.

أتراها كانت محقة في العودة إليه؟ أم أنها استسلمت لمشاعرها؟ أليس هناك شعور خفي في أعماقها يقول بأن سين سيدرك من دون شك، وفي يوم ما، أن أوليفر ابنه، وزواجها منه يساعد على ...

يساعد على ماذا؟.

سمعت سين وأوليفر يعودان فنحّت قلقها جانباً بسرعة. وما إن دخلا إلى الفناء، حتى ركض أوليفر وهو يهتف بحماسة: «ماما... ماما... لقد سبحت».

أخذته بين ذراعيها وأغمضت عينيها وهي تتشممه. وسمعت سين يقول عابساً: «لا أستطيع أن أصدق أنك لم تعلّميه السباحة».

ومدّ يديه يأخذ منها أوليفر بسلطة رجل لديه كل الحق في احتضان ابنه. حبست أنفاسها، محدّثة نفسها بغضب، بأن ما شعرت به حين لجأ إليه أوليفر بابتهاج، ليس خيبة أمل.

- حاولت ذلك، لكن أوليفر يخاف الماء منذ طفولته.

- حسناً، إنه لا يخاف الآن. إلى الحمام، يا أوللي، ثم سنتناول الفطور.

سمعته كيت يقول له ذلك بحزم وهو ينزله إلى الأرض. وعندما ابتعد الصبي، قال لها سين: «لعله أحسّ أنك تخافين عليه. الأطفال بحاجة إلى أن يشعروا بأنهم في أمان».

ردّت بحدة وغضب: «أشكرك على هذه المحاضرة عن نفسية الطفل. لكنني أودّ أن أذكرك أنني أم أوليفر منذ اللحظة التي تكوّن فيها».

فأجاب بعنف: «وأنا الآن أبوه».

بقيت هذه الكلمات في ذهنها وقلبها في الأيام القليلة التالية من «شهر عسلهما» القصير عندما اتحد سين وأوليفر برابط ذكري شعرت أنها منبوذة منه كلياً.

وعندما انتهت العطلة، وفيما كانوا يسيرون إلى سيارة سين، لاحظت كيت أن أوليفر بدأ يتحدث مثل أبيه.

عند وصولهم إلى البيت، كانت مدبرة المنزل في استقبالهم. ورغم أن كيت لاحظت بشكل ضبابي، النظرة ذات المعنى التي تبادلتها المرأة مع سين، إلا أنها لم تهتم بها أو بالكلمات القليلة التي تبادلتها مع سين.

وفي الطابق العلوي، استدارت متجهة إلى غرفتها فأوقفها سين: «طلبت من السيدة هارغريفز أن تنقل أمتعتك إلى الغرفة الرئيسية».

قالت غاضبة من نفسها لأنها شعرت بسعادة غامرة لفكرة أنها ستنام مع سين مرة أخرى، وأرغمت نفسها على الاعتراض: «لكن تلك غرفتك».

فقال ببرودة: «كانت غرفتي لكنها الآن غرفتنا».

غرفتهما. وتعزز شعورها غير المرغوب فيه وانتشر.. كانت تعلم أنها تقترب بشكل خطير من الاستسلام لحبها المتجدد لسين. لعله يريدها، لكنه أخبرها بنفسه أنه تزوجها مرة ثانية من أجل أوليفر.

لن تذلّ نفسها فتعرض عليه حباً لا يريده! ولكن إلى متى ستتمكّن من أن تحتفظ بمشاعرها لنفسها إذا نامت معه كل ليلة والليل بطوله؟

- أنا لا أريد...

- ليس أمام أوليفر.

ورمقها بنظرة حازمة ثم تركها وأخذ أوليفر إلى غرفته الجديدة ليستقر فيها آمناً على أن يستأنفا الحديث لاحقاً.

- شراء هذا الكمبيوتر للعب هو إسراف سخيف يا سين.

عاتبته بذلك بعد أن انتهى من إطلاع أوليفر على كيفية استعمال لعبته الجديدة. وعندما وصلا إلى أمام باب غرفته، أجاب من دون نبرة ندم في صوته: «إنها تساعده على شحذ ذكائه. تعالي وانظري إلى الغرفة الرئيسية».

أول ما رأته كيت حين فتح الباب، هو السرير الجديد الضخم فتركز اهتمامها عليه.

قالت ببلاهة: «إنه سرير مزدوج!».

فرد بجفاء: «إنه حجم استثنائي أكبر من المعتاد».

تملّكها الذعر. سواء أكان مزدوجاً أو استثنائي الحجم، هذا لا يهم. المهم هو أنها ستنام فيه مع سين فيما تعلم أنه سيكون من المستحيل عليها أن تمنع نفسها من الالتصاق به ومن التصرف وكأنهما ما زالا ذينك الزوجين العاشقين اللذين كانا عليه ذات مرة.

استدارت بشكل متهوّر لتجد أن الخروج من الغرفة صعب. فقد سد سين الباب بذراعه... الباب الذي سرعان ما أغلقه ثم استند إليه شابكاً ذراعيه على صدره ما أثار إضطرابها.

انفجرت قائلة: «لا يمكنني أن أنام معك في ذلك السرير».

- ولِمَ لا؟ لقد نمنا في غرفة واحدة أثناء رحلتنا!.

- كان ذلك مختلفاً!.

أصرّت على قولها، متمنية لو أنه لا ينظر إليها متفحصاً بهذا الشكل ما

يشعرها أن بإمكانه أن يقرأ الأفكار التي تمرّ في ذهنها.

- على أيّ حال، نحن متزوجان والسرير من الاتساع بحيث يكفي لوضع مسافة كبيرة بيننا، إذا كان هذا ما تريدينه!.

- طبعاً هذا ما أريده.

نطقت بكذبتها بسرعة. لا يمكن أن يخمّن كم تؤثّر فيها عاطفياً فكرة أن يناما في السرير نفسه.

قال بحزم: «علينا أن نفكر في أوليفر، إذا ما نمنا في غرفتين منفصلتين، فما هو الانطباع الذي سيأخذه عن زواجنا؟».

لم تستطع أن تفعل شيئاً عدا أن ترد بغضب: «لقد رأيت النظرة التي رمقتك بها مدبرة المنزل حين وصلنا، وأنا الآن أعرف السبب».

كان اتهامها عنيفاً ما ترك على سين تأثيراً أكبر مما توقّعت. ودهشت حين قطّب فجأة، وظهرت في عينيه نظرة مبهمة لم تستطع أن تفهمها.

- أعلمت مدبرة المنزل أننا، واعتباراً من الغد، سنحتسي الشاي مع أوليفر في الساعة الخامسة، على أن تقدّم لنا العشاء بعد أن يأوي أوليفر إلى فراشه. أظن أنه من المهم أن نشاركه وجباته. كما رأيت أن آخذه إلى المزرعة غداً إذ أظن أن الجراء جاهزة الآن لترك أمها. وقد أعلمتهم مدبرة المنزل أننا سنأخذ واحداً، ويمكن لأوللي أن يختار ما يريده.

كانت الساعة التاسعة ليلاً، وأوليفر مستغرق في النوم في سريره الجديد، فيما هي وسين يتناولان وجبة لذيذة أعدتها لهما مدبرة المنزل قبل أن تغادر البيت.

وفجأة، آخر ما شعرت كيت بالرغبة فيه هو الأكل.

قالت بحقد وهي تقف ملقية الفوطة، ومتشبثة بالمائدة بغضب: «منذ متى تضع أنت ومدبرة المنزل ترتيبات تخص أوليفر من دون علمي؟».

- أنت تعلمين كم هو متلهّف للحصول على كلب.

- أعلم أيضاً أنني لا أرغب في أن يملك كلباً الآن.

فقال بحزم: «قررت هذا لأنه يكون في الحضانة فيما أنت في العمل. لكن هذا لم يعد منطقياً الآن».

كانت كيت ترتجف وقد تملّكها الغضب والتعاسة في آن معاً من دون أن تعرف السبب بالضبط... عدا عن أن لشعورها علاقة بالغرفة الرئيسية والسرير الضخم، حيث ستنام هي وسين... بينما مسافة كبيرة تفصل بينهما...

- لن أصغي إلى مزيد من هذا.

قالت هذا غاضبة وهي تركض إلى الخارج متجاهلة توسلاته بالعودة.

- كيت... عودي!.

وكانت من الغباء بحيث لجأت إلى غرفة النوم الرئيسية، لتستدير شاحبة الوجه عندما تبعها سين وأغلق الباب خلفه. سألها: «ما الذي حدث لك؟».

- لقد استطعت أن أربّي أوليفر خمس سنوات من دون تدخلّك، يا سين. أنا أمه... وأنا...

فسألها بعنف: «وأنت ماذا؟ شاركت رجلاً آخر فراشه لكي تحملي به؟».

العنف في صوته أذهلها. لم تره قط من قبل يفقد السيطرة على نفسه بهذا الشكل. عنفه غير المتوقع هذا، شلّ حركتها.

- أتظنين أني لا أفكر في هذا الأمر كل يوم، وكل ساعة لعينة؟ بالله عليك، أتظنين ذلك لأنني لا أستطيع إنجاب الأولاد...؟ هل لأني لا أتمتع برجولة كافية لأنجب ولداً، لا رجولة كافية لديّ لأفكر فيك وفيه

وفي هذا الأمر؟».

وأخذا يحدّقان إلى بعضهما البعض بصمت.

أخذت كيت نفساً طويلاً ثم سألته وهي ترتجف: «ماذا تعني بقولك إنك لا تستطيع إنجاب الأولاد؟».

أضحى فمها جافاً، وراح قلبها يخفق بشكل غريب. حتى خلال الصدمة التي أصابتها كانت واعية لنظرة الألم واليأس في عيني سين.

وعندما حاول أن يبتعد عنها، مدت يدها وأمسكت بذراعه وقالت بهدوء: «أنت والد أوليفر، يا سين».

فقال بمرارة: «لا، هذا مستحيل. غير ممكن. لا يمكنني الإنجاب. هذا غير ممكن طبياً».

همست وهي تجاهد لتستوعب ما قاله: «لا أفهم».

فات أوان التراجع الآن بالنسبة إليه. كان يعلم ذلك، لا سيّما أنّ خلف الذهول البادي في عيني كيت، استطاع أيضاً أن يرى عزيمة متزايدة. أدرك أنها ستصرّ على معرفة الحقيقة. وما الفائدة الآن من إخفائها بعد كل ما قاله؟

وتنفس بعمق قائلاً: «عند إجراء الفحص الصحي السنوي للضمان الصحي، اقترح الطبيب أن أجري فحصاً عمومياً كاملاً. ظننت أن الأمر مجرد إجراء شكلي، لملأ الأوراق بما أني كنت أعرف أنني صحيح الجسم وبالغ النشاط والحيوية. وعندما ظهرت النتيجة، لاحظ الطبيب وجود مشكلة...».

سكت فانتظرت كيت بعطف امتزج بالألم، إنما بثقة تامة. فمهما كان ما قالوه له، فلا بدّ أنهم يخطئون، لأنه أنجب أوليفر.

قال باكتئاب: «يبدو أن... قال لي إن الحيوانات المنويّة لديّ، من

الضعف بحيث يستحيل عليّ أن أنجب. في البداية رفضت أن أصدقه وخطر لي أنه قد يكون مخطئاً. لهذا، طلبت إجراء الفحص مرة ثانية، ففعلوا. لم يكونوا مخطئين! هل أشرح لك يا كيت مدى المذلة التي شعرت بها وأنا استمع إلى الطبيب وهو يخبرني أنني غير قادر على أن أعطيك ولداً؟ وكم تمنيت لو أنني لم أطلب منهم إعادة الفحص لأجنّب نفسي مزيداً من الإذلال؟».

همست بجفاء: «لماذا لم تخبرني؟... لِمَ لم تقل شيئاً؟».

- لم أستطع. لم أحتمل رؤية وجهك وأنا أخبرك أني عاجز عن منحك الأولاد الذين أعلم كم أنت متلهفة لإنجابهم.

أرادت أن تخبره أنها كانت متلهفة لإنجاب الأولاد، لكن ليس بقدر تلهفها إلى سين على الإطلاق. لكنها كانت تعرفه، وتعرف مدى عمق الجرح الذي أحدثه خبر كهذا فيه، وفي كل ما كان يؤمن به.

قالت بهدوء: «كان لي الحق في أن أعلم، يا سين».

- وأنا كان لي الحق في أن أحميك من هذه الحقيقة.

- أن تحميني؟.

توترت شفتاه وردّ: «كنت أعلم أنني إذا أخبرتك، فستصرّين على... على ألاّ يكون لدينا أطفال. ثم... ثم تضحّين برغبتك في الأمومة من أجلي. وهكذا، قررت أن أجعلك تتمتعي بشعور الأمومة و.. أن أطلّقك لكي تجدي رجلاً آخر لكي... لكي يمنحك ما لا أستطيع أن أمنحك إياه».

- أن تطلقني؟.

كانت الصدمة الأولية قد تبددت فشعرت بالغضب: «كنت غير مخلص لي، يا سين، و...».

-لا!.

- لا؟.

- ما من امرأة أخرى... اختلقت هذه الحكاية لأنني... لأنني أعرف ما ستشعرين به وكيف ستتصرفين. لم أشأ أن أتركك معلّقة بزواجنا، فتضحين بنفسك عطفاً عليّ، وفي النهاية تكرهينني لأني حرمتك من الأولاد. ولكن، عليّ أن أعترف بأني لم أتوقع منك أن تعرفي رجلاً آخر بهذه السرعة. ألهذا السبب لم تطل علاقتك به؟.

شعرت بغصّة ولم تستطع إلا أن تهزّ رأسها إنكاراً. لم تعرف ما الذي يؤلمها أكثر: ألمها على سين أم ألمها على نفسها؟

- سين، لا يهمني ما قالته التقارير الطبية. لكن أوليفر ابنك. أحياناً أمور كهذه يمكن أن تحدث...

- لا!.

صرخته المتألمة أجفلتها فيما أردّف: «لا تقدمي لي هذا النوع من الإغراء، يا كيت. أنت أسمى من أن تخادعي. وأوليفر هو...».

شحب وجهها، لكن وقبل أن تقول أيّ شيء، تابع: «ألا يمكنك أن تفهمي شعوري؟ وكم أتمنى لو أن أوليفر ابني؟ وكم يؤلمني أنه ليس كذلك؟ يكفي أن أنظر إليه، عدا عن أن أحمله، لأشعر وكأن شيئاً ما في داخلي... أن يكون لي أولاد منك... أن أعطيك أولاداً هو شعور متجذر في داخلي، غريزي إلى حد ظننت معه أني لن أحتمل فكرة أن يعطيك رجلاً ما لم أستطع أن أمنحك إياه. ظننت أنني لو رأيتك مع طفل رجل آخر لجننت. ولكن...».

فقالت وقد فاضت مشاعرها: «لكن أوليفر ابنك، يا سين، ابننا...».

- أرجوك، لا تفعلي هذا. لا يمكنني احتمال ذلك! ماذا عليّ أن

أفعل لأمنعك من متابعة الكذب عليّ؟ هذا؟.

وعندما أمسكها لم تستطع أن تتحرك. عانقها بعنف فارتدّ رأسها إلى الخلف بسبب قوة عضلاته، وحرارة مشاعرهما. والتحم غضبها بغضبه ما جعلها تذوب.

كيف يمكن أن تتولّد مثل هذه الرغبة البدائية العنيفة من الغضب؟ جسدها كله ارتجف وهي تدرك ضعفها. لم تدرك الخطر لتتجنبه، لكن الأوان فات الآن. إنها مستعبدة الآن، لشدة عنف مشاعرها وهي مسجونة بين ذراعي سين الحديديتين.

عندما أنهى عناقه كان صدره يرتفع وينخفض بسرعة. وحاولت أن تبتعد عنه لكنه رفض أن يطلق سراحها.

- لعل الأمر الوحيد الذي يمنعني من التفكير في ذلك هو أن أترك بصمتي عليك إلى الأبد.

- أنت الذي طلقتني يا سين.

ذكرته بذلك، محاولة أن تحرر حواسها من تأثير نظراته العنيفة الحادة، وأن تكبح بذعر الإثارة التي شعرت بها.

أجابها بمرارة: «نعم، لقد طلّقتك يا كيت لكنني لم أستبدلك بامرأة أخرى في سريري. كم كان مقدار حبك له؟».

هتفت باحتجاج، ممزقة بين الصدمة والألم: «كلا، يا سين!».

صُدمت لأنه صدّق أنها تنام مع رجل آخر بينما هو يعلم مدى حبها له، وشعرت بالألم من أجله ومن أجل نفسها لأنه يتألم.

- لا؟ لم تقولي له «لا»، أليس كذلك؟ سأجعلك تنسين أنك عرفته يوماً. سأجعلك تحبينني إلى حد تنسين معه أنه موجود في هذا العالم.

كان في صوته نبرة بعثت في قلبها ألماً امتزج بالغضب. وأذهلها أنها،

ورغم غضبها، تلهفت إلى أن تطمئنه، تقنعه بأن ما من رجل آخر استطاع أن يحتل مكانه سواء في حياتها، أو قلبها أو جسدها، لكنها لم تستطع أن تجد الكلمات اللازمة رغم هجوم سين العنيف على حواسها.

- هل لمسك بهذا الشكل يا كيت، أو بهذا الشكل؟.

كانت هذه الكلمات المدمّرة المترافقة مع لمساته تنهال عليها فتخدر جسمها وتجمّد حواسها، فانتشر الشعور بالفراغ في داخلها يعتصر الحياة من حبها فتصلب جسدها في رفض غاضب.

- آه، يا كيت.

هذا التأوه المعذب شعرت به يضغط على أعصابها. تركها وسار إلى السرير يجلس عليه، واضعاً مرفقيه على ركبتيه ورأسه بين يديه: «ما الذي أفعله بحق الجحيم؟».

عذابه الخانق ملأ المسافة بينهما.

عندما وضع رأسه بين يديه، لاحظت مدى الشبه بين شعره وشعر أوليفر، ما جعلها تتقدم منه مترددة.

- ما الذي حدث لي بحق الله؟ أعلم أنني لطالما كنت أغار عليك، ولكن...

كانت كلماته تقطر يأساً. فوضعت يدها على رأسه، ما جعل جسمه يجمد على الفور: «لا تلمسيني بالله عليك، يا كيت. كيف يمكنك أن تلمسيني؟».

طرح سؤاله الأخير بعنف بالغ. ورأت كيت أنّ وجهه مبلل بالعرق فالتوى قلبها حباً وعطفاً، وانتابها شعور بالقوة والتفهم، فمدت يدها ووضعتها على يده.

دفع يدها بعيداً على الفور ووقف رافضاً أن تلمسه ثم قال بخشونة:

«سأنام في غرفة أخرى هذه الليلة».

وعندما سار مبتعداً عنها، نظرت إليه فتحرك في داخلها شعور ما، شعور بدائي غير مروّض. وبسرعة، اعترضت طريقه ورفعت بصرها إليه. فقال لها بكآبة: «لا مزيد من هذا. يا كيت. لا أريد...».

- هذه؟.

أوقفته واضعة ذراعيها حول عنقه ببطء وعذوبة، تاركة حواسها تستمتع وقلبها يمرح وأضافت هامسة: «أو هذه؟».

وتسللت يدها إلى صدره تلامسه.

بقي لفترة طويلة لا يتجاوب معها حتى كادت تيأس. وفجأة، وإذا بالقوة تؤخذ منها فأخذ يبادلها عناقها، ليس بغضب بل بنهم وشوق.

بشكل ما، وفي مكان ما، تبدد الغضب الذي ساد بينهما واتخذ اتجاهاً آخر مخترقاً حواجز حماية النفس فعادت إلى حيث كانت لا تزال فتاة شابة تحب سين وتتجاوب معه بمشاعر محمومة يملؤها الشوق.

شعرت بتلك المشاعر المحمومة تفيض من أعماقها وتحملها إلى مكان ظنت أنها أضاعته إلى الأبد.

١٠ - دموع الذل

- هل أنتما مستعدان؟

سأل بإيجاز وهو يدخل غرفة الجلوس من دون أن ينظر إليها بشكل خاص. وجلس ثم فتح ذراعيه لأوليفر الذي ركض نحوه على الفور.

إنه يتصرف معها ببرودة وبعد ورفض، منذ تلك الليلة. وخطر لها تعاسة أنه لو سجّل مشاعره على أوراق عملاقة، لما كانت أكثر وضوحاً.

إنه يشاركها ذلك السرير الضخم في الغرفة الرئيسية، لكنه ينام وقد أدار ظهره إليها، ووضع مسافة بينهما هي أشبه بقمم جبال مغطاة بالثلج ولا يمكن اجتيازها. لغة جسده أنبأتها بأنه لا يريدها أن تقترب منه.

ولماذا يريدها؟ فيمكنه على أيّ حال أن يحصل على ما يريد خارج زواجهما، كما أخذت تفكر مكتئبة وهي تنظر إلى ابنها وزوجها.

- لست مضطراً لأخذنا إلى المستشفى، يا سين. هذا الفحص العام إجراء رسمي فقط. الطبيب قال هذا بنفسه، وأنا أشعر بأنني شفيت تماماً.

- أظنك قلت إنك تريدين تفقد منزلك؟.

- هذا صحيح. أعلم أن السمسار قال إنه وجد شخصاً يريد أن يشتريه على الفور...

فقاطعها عابساً: «من الأفضل أن تبيعيه».

جاء دورها الآن لتشيح بنظرها. كيف تشرح لرجل بثراء سين،

شعورها نحو ذلك البيت الذي دفعت ثمنه من عرق جبينها وكيف تستطيع أن تخبره أنها، في أعماقها، تخشى أن يعيد التاريخ نفسه فتجد نفسها وحيدة، بحاجة إلى الأمان الذي يوفره لها ذاك الكوخ الصغير؟

أجابت: «أفضّل أن أحتفظ به».

فردّ وهو يقف: «تحدثت إلى المحامي أمس بالنسبة إلى موضوع التبني».

كان أوليفر يتوجه إلى الباب الآن، ومع ذلك رمقت كيت سين بنظرة تحذير يبدو أنه أساء تفسيرها. وعندما هرع أوليفر إلى السيارة قست ملامح سين: «قد أكون والد أوليفر من وجهة نظرك، يا كيت، لكني لست كذلك من وجهة نظري... لذا، أحرص من أجل مصلحة أوليفر، ومصلحتي أنا أيضاً، على أن أكون أباه بالتبنّي أمام القانون».

تبعته كيت إلى السيارة، وقد تملّكها ألم أشدّ من أن تستطيع الرد.

توقفوا أثناء الرحلة، لتناول الغداء. وبعدئذ، أوقف سين السيارة أمام عيادة الطبيب. وقالت كيت وهي تفتح باب السيارة: «لا حاجة بك وبأوليفر لأن تأتيا معي، يا سين».

كان حرياً بها ألا تقول ذلك، ليس لأن سين أصرّ على أن ينتظر معها الطبيب وحسب بل لأنه أصرّ أيضاً على أن يرافقها إلى غرفة الفحص، أثناء كشف الطبيب عليها. وزاد من استيائها قول الطبيب لها يسترضيها: «يمكنني أن أتفهم اهتمام زوجك، فقد كنت مريضة للغاية. كانت حالتك أسوأ حالة رأيتها في هذا الوباء المنتشر».

فقال سين: «ربما من الأفضل أن تجري لها الفحص كاملاً، مع فحص للقلب والرئتين».

ردّت بغضب: «أنا بخير يا سين».

فقال أوليفر: «لقد تقيأت أمي بعد الفطور».

أثناء الصمت الذي تلا تصريح أوليفر البريء، استدار الثلاثة لينظروا إليه.

وقالت كيت بضيق: «لقد... أكثرت من الأكل على العشاء».

وعلى الفور، بدا الارتياح على ملامح الطبيب وقال لها منبهاً: «انتبهي، فمعدتك حساسة في هذه المرحلة».

وعندما غادروا العيادة قال لها سين: «أنت بالكاد لمست طعامك الليلة الماضية».

فقالت بسرعة: «لأني لم أحب الطبق الرئيسي».

ارتاحت حين لم يتابع مناقشة الأمر، بل قال: «يمكننا أن نترك السيارة هنا ونسير إلى بيتك. فهو غير بعيد».

وعلى الفور سارت بجانبه وأوليفر بينهما.

لعل السير مألوف تماماً لديها، أو لعل ذهنها مشغول بأمورٍ أخرى، لأن تركيزها لم يكن كالعادة. وعندما جذب أوليفر يده من يدها، وصرخ باسم صديقه جورج، لم يكن ردّ فعلها سريعاً كما ينبغي، فقد ركض أوليفر على الطريق قبل أن تدرك ما يحدث.

ورأت شاحنة ضخمة تندفع نحوه، ورأت نفسها تصرخ باسمه برعب بالغ وهي تركض إليه رغم علمها أنها لن تصل إليه.

بالكاد لاحظت حركة غير واضحة بجانبها حين ركض سين إلى الطريق حيث ارتمى على أوليفر بسرعة خاطفة يغطيه بجسده.

سمعت كيت صراخ أوليفر وصوت أزيز مكابح الشاحنة واشتمّت رائحة مطاط يحترق. اكتسحها الخوف، وتعاظم جفاف فمها بينما استدارت الشاحنة وتوقفت. كما أن الناس سارعوا إلى الطريق حيث وقفوا أمام الجسد الساكن الملقى على الأرض.

لكن كيت كانت قد وصلت إليه أولاً.

كان سين ملقى من دون حراك على الطريق، والدم ينزف من جرح في رأسه، وإحدى ساقيه ملتوية بشكل مقزز غير طبيعي. وإلى جانب سين الهامد، رأت أوليفر سالماً مستلقياً وعيناه متسعتان ذهولاً وهو ينشج: «بابا...».

رأت أناساً في كل مكان.. ثم الطبيب... وصفارة سيارة الإسعاف...

صعدت كيت إلى السيارة وهي تحتضن ابنها بعد أن وضع الممرضون سين على الحمّالة وأدخلوه إلى سيارة الإسعاف.

كان وجهه شديد الشحوب، وجاهدت كيت لكي تمنع شعوراً بالغثيان تملّكها عندما علق له أحد الممرضين مصلاً وأخذ يراقب حرارته وتنفّسه.

قال لها أحدهم في محاولة منه لمواساتها بعد أن لاحظ أنها تحدّق إليه بنظرة معذّبة: «جسمه يعاني من صدمة يا عزيزتي».

أمسكت بيده فإذا بها كالثلج... وكأنها...

هبط قلبها، وارتفع نظرها بفزع إلى جهاز تخطيط القلب.

- ممرضو المستشفى قادمون في الحال. لدينا هنا أحد أفضل أقسام الطوارىء في البلاد...

وعندما رأى كيت ترتجف سكت.

وفي قسم الطوارىء، أخذت إحدى الممرضات أوليفر من بين ذراعي أمه الخدرتين فيما اندفع الممرضون وهم يجرون العربة التي وضع عليها سين. فقالت كيت: «أريد أن أذهب معه».

لكن الممرضة منعتها بحزم: «يجب أن نعدّه لكي يراه الجراح. لا أعتقد أنك تحبين أن ترينا نقصّ الملابس الأنيقة التي يرتديها. والآن،

دعينا نلقي نظرة على هذا الصغير».

وبذهن شارد، حاولت كيت أن تركز اهتمامها على ما كانت الممرضة تقوله.

لم يُصب أوليفر بأكثر من بعض الرضوض والخدوش... لا، ليست معجزة هي التي أنقذته بل سين الذي جازف بحياته لإنقاذه.

وشعرت بغصّة. كان سين على صواب، الأبوّة هي أكثر من مجرد الإنجاب، وقد أثبت ذلك اليوم، كما أثبت أيضاً مدى حبه لأوليفر.

كانت الممرضات رقيقات لطيفات، لكن ما من شيء استطاع أن يخفف عذاب وخوف كيت أثناء انتظارها معرفة حقيقة وضع حالة سين. وتملّكها الرعب عندما استدعوا إخصائي أعصاب لفحص الدماغ.

مرّت ساعة، ثم أخرى. ونام أوليفر بين ذراعيها وشعرت بألم في عينيها لأنها لم تتمكّن من ذرف الدموع. وبعد ما ظلته دهراً، جاء إليها المستشار الطبي.

سألته بقلق: «زوجي؟».

- أصيب بكسر في الساق وبعض الرضوض والجروح. انصب اهتمامنا على الورم في رأسه خشية أن يكون الأمر خطراً. لكن، ولحسن الحظ لم يتعدَّ كونه صدمة، إنما أردنا أن نتأكد. آسف لأننا جعلناك تنتظرين طويلاً، إنما ستتفهمين اضطرارنا إلى التأكد....

وأخذت دموع الراحة بعد كل ما عانته والمشاعر التي خالجتها تنهمر على خدّيها.

- كان علينا أن نقوم بفحوصات عديدة، وأن نجري عملية لساقه. وما زال علينا أن نأخذ بعض العيّنات للفحص، لكنه في كامل وعيه الآن. لن يصدق أن ابنه أوليفر بخير إلا بعد أن يراه. ستأخذك سوزي إليه.

قال جملته الأخيرة لكيت برفق وهو يشير إلى ممرضة تنتظر.

لكن كيت لم تتحرك. لم تستطع. كان هناك فكرة... أمل... على طرف لسانها.

قالت بسرعة وعنف: «العيّنات التي عليكم أن تأخذوها. هل لكم... هل يمكنكم أن...؟».

وأخذت نفساً عميقاً ثم قالت بعجز: «سين يرفض أن يصدّق أن أوليفر ابنه، لكنه ابنه فعلاً. إذا استطعتم أن تجروا له إختبار الحمض النووي «د. ن. أ».

قطّب الاستشاري وقال: «هذا مخالف جداً للقواعد».

فقالت بلهفة: «إنه يحب أوليفر للغاية، وقد جازف بحياته لإنقاذه».

فسألها: «ما مدى تأكدك من أن الصبي ابنه؟».

- أنا واثقة تماماً.

- لا يمكننا إجراء الفحص من دون موافقة المريض.

وأضاف الطبيب حين رأى اليأس يرتسم على وجهها: «على أيّ حال، اعتقد أن هذا الاختبار يمكن أن يُجرى بواسطة الإنترنيت، إذا اعتقد الشخص أنه ضروري».

- ولكن كيف...؟.

- كل ما هو مطلوب هو عيّنة صغيرة... نُتفة من الشعر مثلاً...

ابتلعت ريقها: «أتظن أن عليّ...».

- ما أظنه هو أن أيّ شخص يفعل شيئاً كهذا فينبغي أن يتصرف بحسب ما يملي عليه ضميره.

عضّت شفتها واستدارت لتتبع الممرضة في الممشى.

كان سين في غرفة خاصة صغيرة، محاطاً بمختلف المعدات

والأجهزة الطبية. وعندما رأت كيت الورم الذي في رأسه، كادت تنفجر باكية.

بدا وكأن جانب وجهه قد انسحق على الطريق، كما خطر لها وهي ترتجف.

قالت الممرضة: «انظر يا سين، لقد أحضرنا أوليفر لكي تراه، حسب وعدنا».

عندما التفت سين شعرت كيت برغبة عارمة في إعطاء أوليفر للممرضة لتركض إلى جانب سين وتأخذه بين ذراعيها.

كيف يمكن أن يبدو هذا الرجل القوي بمثل هذا الضعف والهشاشة؟ واعتصر قلبها وهي تهمس باسمه... لكن سين لم يكن ينظر إليها. كل اهتمامه كان مركزاً على أوليفر.

- بابا...

هتف أوليفر بذلك وقد استيقظ فجأة ومدّ ذراعيه إليه.

فقال سين بصوت أبح: «ناوليني إيّاه».

نظرت كيت إلى الممرضة مترددة فأومأت هذه. حملته كيت إلى السرير ولكن بدلاً من أن تناوله لسين، جلست هي بجانبه، مبقية أوليفر معها، خوفاً من أن يؤذي أباه عن غير قصد. وعندما رفع سين يده ولمس الصبي، سأل كيت: «هل هو بخير؟».

فأجابت بصوت مرتجف: «هو بألف خير، والفضل في ذلك يعود لك».

لم يكن أوليفر من أرادت أن تحمله وتحميه حالياً، بل سين نفسه. لكنها تعلم أنه لا يريد مواساتها ولا حبها.

قالت بشكل آلي عندما مال أوليفر إلى الأمام ليطبع على خد أبيه قبلة

عنيفة: «على مهل، يا أوليفر».

قال سين بجفاء حين فتحت باب غرفته في المستشفى: «لا حاجة بك إلى زيارتي مرتين في اليوم، يا كيت».

كبحت ألمها وأرغمت نفسها على الابتسام: «الدكتور ميدو يقول إن بإمكانك العودة إلى البيت غداً».

قطّب سين حاجبيه، فقالت: «أوليفر لا يستطيع أن يصبر».

وعلى الفور اختفى تقطيبه.

- إنه مشتاق إليك، يا سين.

قررت كيت ألاّ تخبره بما فعلته لتخفف من شوق ابنه إليه... فسيكتشف بنفسه الضيف الجديد في البيت. واعترفت كيت بأنها دهشت للسرعة التي تعوّدت فيها رستي، كما سمّى أوليفر جروه، على نظام البيت.

- هل طلبت إخصائي الأعصاب لكي يتأكد من أنّ ما من ضرر حدث عندما...

في كل زيارة تقوم بها لسين، يسألها عن حال أوليفر. ورغم أنها تخبره دوماً أنه بخير، إلا أنه يستمر في القلق. ورأت أنه لن يطمئن إلا حين يعود إلى البيت ويرى صحة الصبي الممتازة بنفسه.

- تكلمت مع المحامي هذا الصباح، فقال إنك رفضت توقيع الأوراق.

سكبت كيت لنفسها كأس ماء من الإبريق بجانب سريره لكي توقف الغثيان الذي سبّبته لها رائحة المستشفى.

- لم أرفض ذلك يا سين. أنا... تبنّيك أوليفر أمر هام و... غير عادي. لهذا، لا أريده أن يكون مجرد إجراء رسمي هادىء. وفكرت في

أن نتنظر عودتك إلى البيت لنقيم احتفالاً بسيطاً.

قاطع عذرها المتردد: «إذن، هذا لا يعني أنك غيّرت رأيك؟».

شعرت بإغراء كبير لأن تخبره بأن الوقت الوحيد الذي كان بإمكانها أن تغيّر رأيها بالنسبة إلى دوره كوالد لأوليفر، هو قبل مولد أوليفر بتسعة أشهر.

في أعماقها، ما زالت تشعر بالذنب لأنها قصّت تلك الخصلة من شعره أثناء نومه. وكما أشار عليها الإستشاري وجدت موقعاً على الإنترنيت يقدم الخدمة التي تريدها. فأرسلت شعر سين مع خصلة من شعر أوليفر، إلى ذلك المكان. وطبعاً، لم يكن لديها شك في النتيجة.

وبحركة آلية، أنزلت يدها إلى بطنها حيث استقرت.

أما بالنسبة إلى صحة سين فقد أخبرها الاستشاري ببشاشة أنها كانت قلقة من دون داعي لذلك. فسين رجل معافى وذو جمجمة قوية بحيث تحميه من حوادث الطرق، كما أن كسر ساقه سيتعافى بشكل حسن للغاية. لكن كيت كانت تعلم أنه ما دام في المستشفى فسيبقى، في نظرها، ضعيفاً وبحاجة إلى رعاية جيدة.

أخذ سين يتأمل كيت وهي تغادر. كان لديه الوقت الكافي في الأيام القليلة الماضية، لكي يفكر. وكان لديه الكثير ليفكر فيه. الماضي والمستقبل.

نبّهه الوضع الحالي إلى أن أهم الناس عنده ضعفاء. أوليفر الصبي الذي أحبه وكأنه أبوه حقاً، وكيت، الفتاة التي أحبها، والمرأة التي ما زال يحبها ورغم كل ما حدث أو يحدث.

أوليفر وكيت. إنه لا يطيق فكرة خسارة أي منهما. حتى في تلك اللحظة حين أدرك الخطر المحدّق بأوليفر، علم أنه من غير المهم حقاً ألاّ يكون والد أوليفر الحقيقي، أو أن رجلاً آخر مرّ في حياة كيت. فكل هذا

هو الماضي. ولديه حاضرهما. وهو يريد مستقبلهما.

* * *

- حسناً لا يمكنك أن تلعب كرة القدم بهذه الساق وعليك أن تراجعني بعد ستة أسابيع.

وتابع الاستشاري بعد أن أجرى له الفحص النهائي قبل أن يأذن له بمغادرة المستشفى: «لا بد أنك مشتاق للعودة إلى بيتك مع زوجتك وابنك».

بناء على طلب كيت، أرسل يطلب سجل سين الطبي ثم تفحصه. وفي أحد التقارير، ورد رأي إخصائي يشير إلى أنّ إنجاب سين لطفل سيكون معجزة.

- أنت محظوظ للغاية لأن إصابتك لم تكن خطيرة. ولكن، كما تعلم نحن رجال الطب، نضطر أحياناً إلى تقبّل إمكانية حدوث المعجزات.

أغمض سين عينيه. لن يجادل الإستشاري في ذلك. على أيّ حال، لديه معجزته الخفية الخاصة التي تسعده.

منذ خمس سنوات، لو أخبره شخص بأن يوماً سيأتي لن يقبل فيه فقط باعتبار ابن رجل آخر ابنه، بل سيحب ذلك الطفل أكثر مما أحب أي شخص آخر عدا كيت، لاستنكر هذا الكلام بكل عنف وعلى الفور. ولكن هذا ما شعر به حيال أوليفر.

عندما رأى الصبي الصغير يقف في طريق الشاحنة، أدرك أنه يحبه بعنف وعمق وكأنه أبوه الذي أنجبه. أوليفر ابنه وهو يحبه كابنه. لكن أوليفر لم يكن ابنه في نظر القانون. وإذا ما حدث واختارت كيت، لأي سبب، أن تأخذ أوليفر وترحل من حياته، لأمكنها ذلك بكل سهولة.

لأي سبب؟ وتوتر فمه. لدى كيت سبب وجيه جداً يجعلها تتركه، وقد أعطاها ذلك السبب في تلك الليلة.

عندما التهبت مشاعرهما نسي احتقاره لذاته واشمئزازه من نفسه. عذره الوحيد هو أن غيرته المكبوتة غلبته، لكن هذا ليس عذراً حقيقياً على الإطلاق. لقد اشمئز من نفسه لما فعل، وهو يعلم أن كيت مشمئزة منه هي أيضاً من دون شك رغم إخفائها ذلك.

كان باب غرفته مفتوحاً، فدخلت الممرضة باسمة يتبعها كيت وأوليفر.

عندما ترك أوليفر أمه واندفع نحوه، أحنى سين رأسه فوق رأس ابنه، مخفياً بذلك مشاعره.

قالت له: «رفض أن ينتظرك في البيت».

كان يتناول العكازين اللذين يفترض أن يستعملهما فاندفعت لتساعده لكنه رفض ذلك وأشاح بوجهه عنها.

أخذت كيت تنظر إلى الممرضة شاحبة الوجه وهي تتقدم لمساعدة سين... لتلعب الدور الذي ينبغي عليها أن تلعبه هي. وفكرت باكتئاب في أن سين عاد فتزوجها مرة أخرى، لكنه لا يريدها زوجة له.

- طلبت من مدبرة المنزل أن تنقل أغراضي إلى إحدى الغرف الأخرى.

سرّها أنها كانت تولي ظهرها لسين فلم ير تأثير كلماته عليها، رغم أنها لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تسأله: «ولكن ماذا عن أوليفر؟ لقد قلت...».

فقاطعها: «قلت له إن هذا بسبب ساقي».

لكن هذا مجرد عذر طبعاً، وهي تعلم ذلك! إنه لا يريد أن يبقى معها في غرفة واحدة وسرير واحد بعد الآن... لأنه لا يريدها!.

كانا يقفان في الردهة، هو متكىء على عكّازه وأوليفر يلاحق جروه في

أنحاء الغرفة يريد أن يمسك به لكي يريه لأبيه.

نظر سين إليها وقال ساخراً: «أراك غيّرت رأيك؟».

فأجابته بقدر ما أمكنها من مرح: «أنا امرأة، وهذا من شيم النساء».

ولكن ثمة سبب آخر دفعها إلى تغيير رأيها وهو أن الوقت مثالي لكي تسمح لأوليفر باقتناء جرو.

أترى لاحظ سين أن الجرو هو نفسه الذي اختاره لأوليفر؟ لم يذكر شيئاً عن ذلك. وكان من السخافة، بعد كل ما أخبرها به عن شعوره نحوها، أن تشعر بخيبة أمل وبجرح في كرامتها.

قالت وهي تتقدم إلى جانبه: «سأساعدك في الإنتقال من الغرفة».

لكنه ابتعد عنها على الفور باستنكار جعلها تجمد مكانها، لتستدير بعدئذ مبتعدة كيلا يرى دموع الإذلال في عينيها.

١١ - أب أيضاً... وأيضاً

أعادت كيت رأسها إلى الوسادة، شاعرة بالغثيان، ثم أغمضت عينيها. لعل عدم وجود سين في الغرفة نفسها أمر حسن.

اليوم هو عيد ميلاد سين. ومدت يدها إلى علبة البسكوت الجاف التي اشترتها لنفسها عندما اشترت له بطاقة المعايدة.

تباطأت في النهوض لتنضم إلى أوليفر، علّها ترتاح أولاً من حالة الغثيان هذه. كان أوليفر متحمساً كما لو أنّ العيد عيده هو، وقد حمل الهدية الملفوفة جيداً.

كان سين قد سبقهما إلى غرفة الفطور. وما إن دخلا حتى اندفع أوليفر إليه وجلس على ركبتيه، وهو يصيح: «عيد سعيد، يا بابا!».

أحنت رأسها لتخفي مشاعرها والتقطت بطاقة المعايدة التي سقطت من أوليفر في قمة اندفاعه وحماسته، وقد خطر لها أنها أحسنت صنعاً عندما حملت الهدية بنفسها.

قالت له: «عيد سعيد يا سين. إنه احتفال مزدوج بعدما تخلّصت من العكازة».

فقال أوليفر باهتمام: «أحضرت لك بطاقة معايدة».

وناولته كيت البطاقة والهدية. فقال الصبي: «افتح هذه أولاً، إنها بطاقتي. ماما اشترت لك بطاقة هي أيضاً. وكذلك الجرو رستي، لقد وقّعها بمخلبه. صنعت أمي معجوناً خاصاً وضعنا مخلبه فيه ثم وقّعنا

www.elromancia.com

البطاقة».

- معجوناً خاصاً؟ هذا عمل ماهر.

هل ما رأته في عيني سين وهو ينظر إليها هو لمعان تسلية؟ وخفق قلبها.

- وهذا يفسر تلك الدمغة على بنطلون ماما أمس.

- قمنا بمحاولتين سابقتين ففهشلتا.

وضحكت لكنه لم يشاركها ضحكها بل أخذ ينظر إلى بطاقة أوليفر. واستمرّ ينظر إليها ثوانٍ عدة قبل أن يرفع بصره إلى كيت.

- هل أعجبتك يا بابا؟.

- أحببتها كثيراً يا أوللي! لكنني أحبك أكثر.

وعندما عانقه وضع البطاقة جانباً، فتناولتها كيت وعرضتها على المائدة. لم يكن خط أوليفر واضحاً لكن ما كتبه لأبيه هو «أنا أحبك كثيراً يا أبي».

قال أوليفر بإلحاح: «عليك أن تفتح هديتي».

أخذت كيت تنظر إليه وهو يفتح العلبة التي تحتوي على الصورة التي أخذتها لهما بعد أن وضعتها في إطار. وعندما أخذ سين ينظر إليها، حبست أنفاسها. هل تراه لاحظ، كما لاحظت هي، الشبه بينهما؟.

حتى ولو لاحظ، يبدو أنه لن يعترف بذلك.

فتحوا البطاقات الأخرى بما فيها بطاقة رستي. ثم طمأن سين أوليفر برزانة، إلى أنه متشوّق إلى حفل عيد ميلاده وقالب الحلوى الذي حضّره أوليفر وأمه له.

ولم تقل كيت شيئاً.

قال أوليفر فجأة: «ماما، أنت لم تحضري هدية لبابا».

وقبل أن ترد كيت قال سين: «بل فعلت يا أوللي. أمك قدّمت لي هدية ثمينة جداً جداً... أحسن هدية في العالم».

فسأله أوليفر بحيرة: «وأين هي؟».

من فوق رأسه، نظر سين إلى كيت وأجاب: «الهدية هي أنت، لقد قدمتك أمك لي».

كانت كيت تعلم أنّ عليها أن تشعر بالبهجة وهي تسمع ما قاله سين عن حبه لأوليفر، لكن الألم تملّكها لأن كلامه أثبت ما لم تكن تريد أن تسمعه، وهو أن سين أرادها فقط من أجل أوليفر.

ولم يكن هذا هو نوع العلاقة التي تريدها مع الرجل الذي تحب. الرجل الذي...

ونهضت فجأة. كانت قد تركت هديتها لسين في الغرفة التي يستعملها مكتباً. وعندما سيجدها سيدرك أنه لم يكن مضطراً لأن يحصل عليها لكي يحصل على أوليفر.

- أين تذهبين يا كيت؟ لم تتناولي فطورك.

لم تلتفت وهي تجيب: «لست جائعة».

وبشكل غريزي وضعت يدها على معدتها.

غير جائعة... أخذ يتساءل سين بمرارة وهي تبتعد، هل هي جائعة فعلاً أم أنها لم تعد تطيق معشره؟.

حالما أنهيا الفطور، رافق سين أوليفر إلى الحديقة مع الجرو. أترى أدركت كيت أنها اختارت الجرو نفسه الذي كان قد اختاره؟.

وهما سائران، كان أوليفر يثرثر سعيداً. وعندما نظر إليه سين شعر بطعنة ألم للسنين التي خسرها إذ لم يكن موجوداً عند ولادته. اشتدت قبضة يده الضخمة على يد أوليفر الصغيرة. إن أوليفر ابنه. لكنه لم يكن

صادقاً تماماً حين قال إن أوليفر هو أثمن هدية تلقاها.

كان أوليفر ثميناً... ثميناً جداً. لكن حب كيت يماثله في ذلك. لم تمض عليه ليلة، منذ ما حدث تلك الليلة، لم يأرق فيها، كارهاً نفسه للطريقة التي عامل بها كيت. فلا عجب إن كرهت النوم معه في الغرفة نفسها.

دخل إلى مكتبه بعد الغداء فرأى مغلفاً أبيض كبيراً ملقى على المكتب وقد كُتب عليه بخط يد كيت: «من أجلك ومن أجل أوليفر».

فتحه وقد ازداد تقطيبه، وأخرج منه أوراقاً قرأها، ثم أعاد قراءتها مرة بعد مرة، محاولاً أن يركّز رغم مشاعره المصدومة.

إنه والد أوليفر، وهذا مكتوب هنا بوضوح تام. والبرهان في سجلاتهما ففحص الحمض النووي «د. ن. أ» يثبت أبوّته لأوليفر وذلك بشكل لا يقبل الجدل.

قرأ الأوراق مرة أخرى وأخرى إلى أن تأكد أخيراً من أن لا خطأ في الأمر.

«المعجزات تحصل أحياناً» كما قال الطبيب الاستشاري. وهو يعلم الآن أن هذا القول صحيح، لكن معجزته كلفته ثمناً غالياً مخيفاً... أدرك ذلك فيما حقيقة ذلك الثمن ترتسم أمام عينيه.

لقد رفض أن يصدّق أن كيت لم تعرف رجلاً آخر لا بل فعل أكثر بكثير من مجرد عدم تصديقها...

سمع باب المكتب يفتح، ودخلت كيت ثم أغلقته خلفها. نظرت إلى المكتب، ومن ثم إليه: «إذن، فقد فتحته؟».

- نعم، لكنني أتمنى، لو أني لم أفتحه.

شعرت بالغثيان. ما الذي يعنيه؟ فقالت باحتجاج: «لكن هذا يثبت

أنك والد أوليفر؟».

- لكن أوليفر كان ابني قبل ذلك. وهنا، في قلبي، كان لديّ البرهان الذي أريده وأحتاج إليه... حتى لو استلزم الأمر مأساة تقريباً لأدرك ذلك، يا كيت! وهذه...

والتقط نتيجة الفحوصات وقال بعنف: «هذه لا تعني شيئاً».

منعتها الصدمة من الكلام. وعاد يقول وهو يضع يده على قلبه: «أريده أن يكبر مدركاً أن حبي له يأتي من هنا».

وألقى بالورقة على الأرض: «في المستشفى أتيحت لي فرصة للتفكير. وما فكرت فيه، وما علمته، وما تقبّلته أخيراً، هو أن الحب، الحب الحقيقي، يسمو فوق كل المشاعر البشرية الأخرى، كالغيرة، والشكوك، والخوف. وأنا أحبك كما أحببتك دوماً، فأنت المرأة الوحيدة المخلوقة لي، نصفي الآخر الذي أريده أن يتممني... رفيقة روحي. ما من شيء يمكن أن يغيّر ذلك. كما أحب أوليفر وكأنه جزء من قلبي».

ونظر إلى أوراق الفحوصات: «وهذه... لا تبرز حقيقة أنني أسأت معاملتك وخنت ثقتك مرة واحدة وحسب، بل مرتين، إذ أقمت حاجزاً آخر بيننا بأنانيتي وغبائي».

دار رأس كيت ونظرت إليه: «أنت تحبني؟».

قطبّ سين جبينه، وتخلّى عن حذره ليس بسبب سؤالها هذا فقط بل بسبب السعادة العارمة التي بدت في صوتها.

وسألها: «هل تريدينني أن أحبك؟».

- أوّاه، يا سين.

واغرورقت عيناها بالدموع وهي تتقدم نحوه حتى استطاعت أن تطوّق

عنقه بذراعيها: «دوماً وإلى الأبد. أريدك أنت وحبك».

وخنقتها المشاعر فهزّت رأسها وأردفت: «ما دمت تحبني، لماذا أخذت ترفضني؟ لماذا أخذت...؟».

زحف الاحمرار إلى وجه سين وقال: «ظننت... شعرت... تلك الليلة... ياإلهي، يا كيت، هل عليّ أن أهجّىء لك الأمر حرفياً؟ تلك الليلة فقدت السيطرة على نفسي ثم...».

وبرقّة، وضعت إصبعها على فمه تسكته: «كلانا فقد السيطرة يا سين، لأنك... هل تعني ذلك حقاً، يا سين؟ هل تحبني حقاً؟».

- كيف تسألين عن هذا؟.

وشدّها إليه وقبّل رأسها المنحني.

قالت ببطء محاولة اختيار كلماتها بعناية: «كان عليّ أن أسألك ليس من أجلي فقط».

بدا واضحاً لها، حين وضع إصبعه تحت ذقنها ليرفع وجهها إليه ويتفحّصه، أنه لم يتكهن بما تريد أن تقول.

سألها بحيرة: «أتعنين من أجل أوليفر؟ تعلمين أنني أحبه».

- لا، ليس من أجل أوليفر. لكنك على الطريق الصحيح.

ونظرت إليه مشجعة، حتى تأوّه وعانقها.

طال العناق وتحدث طويلاً، حاملاً وعوداً بالحب وبمشاركة الأحزان ومثقلاً الندم وسألها أخيراً: «هل تعنين أنك حامل؟».

فألقت عليه نظرة جانبية وقالت مداعبة: «ومن قال إن ذلك غير ممكن؟».

ثم هزّت كتفيها بشكل لم يخف حماستها تماماً، وأضافت «يبدو أن الأبحاث الحديثة تظهر أن جسد المرأة لديه القدرة على الكفاح ليستقبل

الحيوانات المنوية من الرجل الذي تحب».

لامس سين خدّها بحنان: «حسناً، لن أنسى عيد ميلادي هذا أبداً».

- هممم... ولم يته بعد. أنت تعرف الوحام عند النساء الحوامل...؟.

فأومأ برأسه.

- حسناً، أرغب فيك الآن يا سين. لا أراك تريد للطفلة القادمة أن نظن أنك لا تحب أمها، أليس كذلك؟.

- الطفلة القادمة؟.

طرح هذا السؤال في ما بعد وهو ينظر إليها ورأسها على كتفه. وقد ارتسمت على وجهها إبتسامة حارة فيما شعّت عيناها بالحب والسعادة. أجابت: «حسناً، أظن أنها أنثى. لقد أحضرت الجرو لأوليفر بسبب حملي هذا. طفل واحد في كل مرة يكفي لسكان المنزل!».

- يا إلهي! عندما أفكر في ما كان بالإمكان أن أخسره، وما خسرته في تلك السنوات الجهنمية من دونك. شكراً لأنك صفحت عني بعدما فعلته بك، ولأنك عدت أنت وأوليفر إلى حياتي.

- حينما فهمت سبب ما فعلته بي، تغيّر الوضع، خاصة حين رأيت علاقتك بأوليفر. كرهت طبعاً رفضك الاعتراف بأوليفر ابناً لك، لكني فهمت سبب رفضك. لم أتوقف عن حبك قط رغم عدم اعترافي بذلك.

- حسناً، اعتباراً من الآن لن أسمح لك بالتوقّف عن حبي، ولن أتوقف أنا عن حبك حتماً.

الخاتمة

- ظننتك قلت إن طفلاً في كل مرة يكفي.

نظرت إليه كيت بأسى، ثم نظرا معاً إلى طفلين رائعين في سرير الأطفال في المستشفى. ولدت الطفلتان بفارق عشر دقائق بين الواحدة والأخرى، وبعدما أحضر سين أوليفر ليرى شقيقتيه، أعاده إلى المنزل ووضعه في رعاية مدبرة المنزل، ثم عاد إلى المستشفى ليبقى مع كيت.

وأجابت كيت: «ظننتك قلت إن من المستحيل أن يحدث هذا!».

وشعرت بعينيها تغرورقان بالدموع وهي ترى زهو الذكر في عيني سين يتصارع مع إدراكه أن كيت لعبت الدور الصعب بحملها لهما ووضعهما.

ما إن علم أنها حامل بتوأم حتى تصاعد قلقه عليها. أما الآن...

وأمسك يدها بحنان ورفعها إلى شفتيه وهو يقول بفيض من المشاعر: «ولاك لما حدث هذا. كان ممكناً أن تعشقي وتنجبي أولاداً من رجل آخر، يا كيت. لكني ولسبب ما كنت أعرف أن مشكلتي ستجعل من المستحيل عليّ أن أنجب أولاداً من امرأة سواك».

عليها طبعاً أن تخبره أنه غبي، لكنها لن تفعل. لا، ما عليها أن تفعله الآن هو أن تتذكر هذه اللحظة بقية حياتها.

قالت تداعبه: «أرى أن رستي استطاع أن يرسل إحدى بطاقاته الفريدة بتوقيع المخلب. لا بل ثلاث بطاقات واثنتان منها وردية اللون».

ضحك: «لديّ اعتراف. تحضير تلك البطاقة تسبب بتلف قطع من

ملابس عدة ما جعل مدبرة المنزل تهدّد بترك العمل! لكن أوليفر أصر على ذلك! وسحر التوأمين كان كافياً ليجعلها تغير رأيها!».

استيقظت الطفلتان لتطالبا بطعامهما. إنما تبقّى لديها وقت لتميل إلى الأمام وتبرهن للأب كم تحبه.